مراجعات

ملحق شهري تصدره وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بالتعاون مع «الرؤية»

محرم 1440 هـ - سبتمبر 2018م

الصفحة الأولى...

هلال الحجري

من الأطروحات التي أنجزها العمانيون في الخارج رسالة دكتوراه بعنوان «التفسير العام للتراث الأثري والسياحة الأثرية في سلطنة عُمان»، قدمها الدكتور يعقوب بن سالم البوسعيدي لجامعة ويلز في كاردف سنة ٢٠٠٨.

يذكر الباحث في ملخصه أنّ الدراسات تثبت أن التراث الأثري كان أحد الموارد الرئيسة التي استُغلّتْ لغرض السياحة منذ عهود غابرة، وأن نقل هذا التراث لمختلف السياح من خلال التقديم أو التفسير العام يعد عنصرا حيويًا في بناء قيمه التي لا تعد ولا تحصى. ومع ذلك، هناك عدد من القضايا والتحديات المثيرة للجدل تواجه التفسير العام للتراث الأثري تحتاج إلى دراسة منهجية عميقة. ويضيف الباحث أنه على الرغم من وجود قدر كبير من البحوث تتعلق بالتفسير العام للتراث الأثري، فإنها تتسم بالعمومية والسطحية وتتداخل مع أنواع أخرى من موارد التراث، خاصة الثقافة الطبيعية والمعيشية. لذلك، ما هو أكثر أهمية لهذه الدراسة، حسب قوله، هو أوجه القصور في الدراسات ذات الصلة بالتفسير، والصناعة، والمهنية في البلدان النامية، بما في ذلك دراسة الحالة التي يجريها في سلطنة عمان.

ويؤكد الباحث أن عمان تتمتع بتراث أثري غني، وهو واحد من أهم المنتجات التنافسية السياحية لعُمان، ولكنّ الجمهور العام (أي المجتمعات المحلية، والزوار، وقطاع التعليم، ومنظمي الرحلات السياحية، إلخ) لا يستطيع كسب قيم هذا التراث بشكل فعّال عمليا وفكريا. ويرجع ذلك جزئيا، حسب قوله، إلى عدم وجود تفسير عام للموارد الأثرية.

من خلال منهج دراسة الحالة، استكشف الباحث مختلف التحديات والقضايا المتعلقة بهذه الظاهرة، خاصة وأن سلطنة عمان تسعى إلى تطوير السياحة التراثية التي تمثل مصدرا تنافسيا في تطوير قطاع السياحة. استخدم الباحث مصادر مختلفة من الأدلة، بما في ذلك الزيارات الميدانية، والوثائق والمقابلات الحكومية. ويأمل في نهاية دراسته هذه أنه قد حقق هدفين رئيسين:

الأول هو تحديد القضايا الإشكالية الرئيسة التي تواجه التفسير العام للتراث الأثري في عمان، خاصة ما يتعلق منها بالسياحة الأثرية.

والهدف الثاني هو إيجاد منهج عملي يهدف إلى التغلب على آثار هذه القضايا أو التقليل منها إلى أدنى حد.

وقد توصل الباحث إلى ثلاثة عوامل رئيسة فعّالة ومترابطة تؤثر على نوعية التفسير العام وتطوره في المواقع الأثرية، هي: السياق المادي؛ وسياق الإدارة وأصحاب المصلحة؛ والسياق الاجتماعي-الثقافي.

ويضيف أنه استعان بالدراسات العملية والنظرية السابقة واستند إلى نتائج بحثه؛ ليصل إلى اقتراح منهج متكامل جديد للتفسير العام للتراث الأثري، سمّاه «التفسير السياقي العام المتكامل». ويأمل الباحث أن يحقق ذلك استدامة هذا التراث القيّم ودوره كعنصر جذاب ومفيد. وفي ختام الدراسة قدم الباحث توصيات توفر رؤية ومبادئ توجيهية مساعدة لوضع المنهج المقترح موضع التنفيذ.

hilalalhajri@hotmail.com

- مديح السياسة
- باديو وأود لانسولان
- شالوم وسلام
- محمد سمير مرتضى
- الهجرة الروسية إلى مصر
- فلاديمير بيلياكوف
- هل البابا فرانسيس مدعاة للفُرقة؟
- جان فرانكو سفيدركوتسكي
- هل يستطيع الفن إنقاذنا؟
- سنتياغو زبالا
- آليات المشاعر: الدماغ والسلوك والمجتمع
- آلن إهرنبرغ
- الاتحاد الأوروبي في عصر الاضطرابات
- مجموعة مؤلفين
- المسلمون في إيطاليا
- لفابريتسيو شوككا
- معاهدات الاستثمار الثنائية الأولى
- لكينيث فاندفيلد
- الإباضية في منطقة المحيط الهندي
- مجموعة مؤلفين

إصدارات عالمية جديدة

من الصفحة 22 إلى 23

مديح السياسة
لألان باديو وأود لانسولان

محمد الشيخ *

هذا كتاب جمع بين دفتيه حوارا غنيا في شأن «السياسة» بين الفيلسوف الفرنسي المعروف ألان باديو (من مواليد الرباط عام ١٩٣٧) والصحافية الفرنسية خريجة كلية الفلسفة سابقًا والمديرة المساعدة لمجلتين فرنسيتين شهيرتين أود لانسلان. والحال أن المرء يحتار إن هو علم أنه بعد أن ألف باديو في «مديح الحب» (٢٠٠٩)، وبعده في «مديح المسرح» (٢٠١٣)، وعقبه في «مديح الرياضيات» (٢٠١٥)، ها هو يعود إلينا بكتاب في «مديح السياسة» (٢٠١٧)! فلعل من بين ما مدحه هذا الفيلسوف المداح، فإنّ الأقل مدعاة لكيل المديح هو السياسة، لاسيما إذا ما نحن استحضرنا ما يتخبط فيه عالمنا السياسي من مآسٍ.

يتكون هذا الكتاب من خمسة فصول، فضلا عن خاتمة. ويفتتح الفصل الأول هكذا فجأة عن غدارة بلا مقدمةٍ، اللهم إلا ترويسة مستلة من الكتاب تلخص فحواه، فضلا عن تعريف مقتضب بالفيلسوف وبمحاوِرته. ويدور هذا الفصل على السؤال: ما السياسة؟ وتذكرنا واضعة السؤال بالسياق الصعب الذي يطرح فيه: إدارة الكثير من الشباب ظهورهم للسياسة وقد تصوروها باعتبارها مجال المواجهة بين أشكال من الإمعان والتلذذ بالمواقف الرعناء وألوان من الانتهازية. وجواب الفيلسوف أنه لا يمكن فهم هذا الإحساس إلا بإعادة اكتشاف اشتقاق لفظة «السياسة». ذلك أن لهذا اللفظ تاريخا مديدا. في البدء، منذ آلاف السنين، كانت فكرة أن «السياسة» إنما هي السلطة ليس إلا، فهي الاستئثار بسلطة الدولة وممارستها على الجماعات المعروفة الأعضاء. فإذن؛ التحديد الأول الذي أعطي للسياسة كان يعتبر أن الشغل الأساس، بل الوحيد، للسياسة، إنما هو الاستئثار بسلطة الدولة. هذا تعريف راسخ في تاريخ الفكر السياسي، ولا يزال سائدا إلى حد اليوم. ومن شأنه أن يختزل السياسة في انتخاب من يستأثر بالسلطة.

تأسيسا على هذا التعريف، يتولد تصور «كلبي» للسياسة. أي ممعن في التشفي والجراءة الفظة والتلذذ بها. يرى فيها أنها أمر قائم على ألوان المنافسة وأشكال المحاسدة، بل وأضرب العدوانيات من أجل الاستحواذ على السلطة، وممارستها بحسب أهواء المستحوذين عليها. وقد وجد قديما من نظَّر لهذا التصور (مكيافلي). واليوم، مع الأسف، يشهد العالم على هذا الفهم حيث يتصور أن مملكة السياسة هي مملكة الدناءة والفظاعة والفظاظة والرشوة والكذب والعنف ...

ضد هذه الرؤية، تبلورت رؤية أخرى للسياسة في صلة بالفلسفة ترى أن ثمة تعالقا بين السياسة والعدالة. إذ بدل أن يصير شغل السياسة كامنا في كيفية الاستحواذ على السلطة، يمسي شغلها النظر في كيفية تحقيق السلطة العادلة. وهكذا، يضحى النقاش حول «السياسة» لا يتعلق بممارسة السلطة، بقدر ما يدور على المعايير التي تخضع إليها هذه السلطة، وعلى علاقتها بالجماعة وبالغايات التي تتغياها. وبين تعريف «السياسة» من حيث هي سعي إلى السلطة، وتعريفها من حيث هي سعي إلى العدالة ثمة تآلف وتخالف. ثمة تآلف؛ لأن فكرة «العدالة» ما كان من شأنها أن تبقى فكرة مجردة، وإنما تحتاج إلى تنزيل في الواقع؛ ومن ثم يمسي الأمر أمر سلطة عادلة. وثمة تخالف؛ لأن السلطة إذا عزلت عن مفهوم «العدالة» أمست عرضة للتآكل والتفسخ. هذا مع تقدم العلم أن للتناقض بين «العدالة» و«السلطة» تاريخا طويلا: من أفلاطون إلى ماركس، مرورا بروسو وفلاسفة الثورة الفرنسية الذي فضحوا التناقض القائم بين السلطة والعدالة، حد القول: إذا تحققت العدالة آذن ذلك بزوال السلطة.

وعن سؤال اعتبار باديو «السياسة» «سعيا نحو الحقيقة وتقصيا لها»، إلى جانب كل من الحب والفن والعلم، بدل حسبانها بالضد «سعيا لتمرير الكذب»، يقر الفيلسوف بأن ثمة من وَصَل بين السياسة والكذب، حتى عد مكيافلي السياسة فنا سياديا للكذب (تستهدف الاستحواذ على السلطة بإطلاق وعود كاذبة)، أما هو فلا يقصد بتعريفه للسياسة معناها الأول. السلطة. وإنما يعني معناها الثاني. العدالة.

ويتساءل الفيلسوف: هل يتعلق الأمر، يا ترى والحال هذه، برؤية مثالية؟ وجوابه: «لا أعتقد ذلك قطعا». ويُشهد على ذلك الثورات التي ما تزال تجذب الكثير من الشعوب في ترجمة عن الرغبة في إحقاق العدالة (المعنى الثاني للسياسة) وليس التسلط (معناها الأول). هو ذا ما يدعوه بالتمثل الجماعي للأمر العادل، وهو الحقيقة عينها. حقيقة ماذا؟ حقيقة مقدرة الجماعة. والبشرية كافة. على تقرير مصيرها بنفسها، وعلى تشكيله. وتُسائله المحاوِرة: وماذا عن «الديمقراطية»؟ ويأتي جوابه: ثمة تصور كلاسيكي للديمقراطية: الديمقراطية هي التمثيلية؛ أي اضطلاع ممثلي الشعب، عن طريق الانتخابات، بتسيير شؤون الدولة. وبهذا المعنى، يمكن القول إن الأنظمة الغربية أنظمة ديمقراطية ... لكن ثمة معنى آخر للديمقراطية لا يقل عراقة عن المعنى السابق: الديمقراطية حكم الناس. ولهذا، فإننا حين نستخدم مفهوم «الديمقراطية»، علينا أن نعيِّن بأي المعنيين نستخدمها: أبمعنى أنها مجرد آلية انتخابية وتمثيلية تابعة إلى سلطة الدولة؟ أم بمعنى أنها تعبير ممكن عن إرادة الناس في قضايا معينة (روسو)؟ وفق هذا المعنى الأخير، ما كانت الأنظمة الغربية بالأنظمة الديمقراطية؛ وذلك لأن ممثلي الجماعة من الناس لا يعدون ممثلين على الحقيقة وإنما هم أشباه ممثلين في خدمة من يدفع أكثر، وهم فاقدون. أمام إغراءات عالم الأعمال والشركات العملاقة. أي سلطان حقيقي.

من هنا يخلص باديو إلى ضرورة تصور «السياسة» عن الصلة المباشرة بالدولة بمعزل. ذلك أنه إذا ما استبدت بنا فكرة «الدولة»، استبد بنا تصور للسياسة بحسبانها استئثارا بالدولة. أو بالحكم. فحسب؛ لأنه من دون هذا «الاستئثار» نعتقد أن لا شيء يمكن القيام به. وهذا أمر غير صحيح؛ لأن السياسة تتضمن رؤية حول الجماعة. بل حول البشرية. ومصيرها، وهو أمر لا يتم بدون ديمقراطية تشاورية تداولية. بدل الديمقراطية التمثيلية الشكلية. تقضي برؤية واعية وخاضعة إلى النقاش العام حول ما الذي تستطيعه الجماعة وما الذي يمكنها أن تصيره. وإذن، علينا أن نختار بين مجرد التسيير. الذي نعتقد أنه سياسة، وما هو بسياسة. أي تدبير الهيمنة السياسية وقد اعتُبرت قدرا محتوما، وبين السياسة بمعناها الأصيل، حيث تبدأ السياسة حين يوجد خياران كبيران. وليس خيارا واحدا ذا لوينات كما هو الحال اليوم. أي طريقان: الطريق الأول هو الطريق الرأسمالي، والطريق الثاني هو الطريق الجماعي -المشاعي-، وأما الطريق الإصلاحي، فيراه المؤلف. وهو من قدماء ماركسيي مثقفي فرنسا، وتلميذ للفيلسوف الماركسي الشهير ألتوسير (١٩١٨-١٩٩٠). مجرد ترميق للطريق الرأسمالي وترتيق له. ويختم الفصل بنقد لليسار الفرنسي وتعثراته. أما الفوضوية، فلا يرى فيها سوى «سلبية خلاقة»، لكنها أبدا لن تشكل سياسة أو تنهض بها. صحيح

أن هناك بعدا «وجوديا» و«تلقائيا» في الفوضوية، لكن غالبا ما يخفي عدم تسامح فظ حيث لا يشعر صاحب هذه النزعة براحته إلا في القيام بنشاط سياسي متقطع غير طويل النفس.

ويبسط المؤلف هذه الخيارات في الفصول اللاحقة. وهكذا، فإنه في الفصل الثاني. الفرضية الشيوعية. يرى أن «الشيوعية» أمست لفظا مدانا في حقل السياسة بالغرب، ويحاول باديو أن يزرع فيها الروح من جديد. ويعتبر الأمر معركة تحتاج إلى إزالة الخوف منها والجهل بدلالتها البدئية وعدم السماح بالتخلي عنها. ويقر بأن العديد من الناس دعاه إلى عدم الاحتفاظ باسم «الشيوعية»، وأنه ألح على التشبث به؛ لأن من شأنه التخلص من الطريق الآخر للسياسة. طريق الرأسمالية. بدل التحالف «المخجل» مع هيمنته المطلقة.

ويدعو باديو إلى القيام بتقديم حصيلة مستقلة للتجارب الشيوعية منذ انطلاقتها لا تكون متحالفة مع «الانتصار الظاهري» لليبرالية المعاصرة الذي يقوِّم هذه التجربة على أنها «جريمة» حدثت في التاريخ وانتهت ولا سبيل إلى فتح الكلام عنها. وقد بدأت هذه الحصيلة المغرضة تقدم منذ الثمانينات من القرن الماضي. والحال أن الحصيلة البديلة تقتضي طرح استفسارين: لماذا اندرست الدول الاشتراكية؟ ولماذا ينبغي الانتقال إلى ما بعد هذا الفشل نحو زرع الحياة في السياسة من جديد؟ يجب إذن تجاوز «التجريم المهيمن»، ويجب طرح السؤال: كيف أدى هذا التحرير الذي شكلته الفكرة الشيوعية إلى ضده؛ أي إلى تعزيز سلطان الدولة؟ وكيف قاد إلى تقوية الفوارق في الدول الاشتراكية نفسها بدل إلغائها؟ وجواب الفيلسوف: كلا؛ ما فشلت الدول الاشتراكية لأنها كانت شيوعية، وإنما حدث ذلك لأنها ما كانت شيوعية. مساواتية، تشاورية مع الجماهير. بما فيه الكفاية، وما كانت تنتهج نهج السياسة الحق. التشاور المستديم. ثم يذكرنا المؤلف بمبادئ الشيوعية الأربعة تدقيقا لمعناها: ١- نزع جهاز الإنتاج من بين يدي الملكية الخاصة. ٢-السعي إلى القضاء على التقسيم المتخصص للشغل، لا سيما التراتبي. ٣-السعي إلى القضاء على هوس الهويات، لا سيما منها القوميات. ٤-وهو المبدأ الحاكم: السعي لا إلى تعزيز سلطان الدولة، وإنما إلى إفقاره لصالح «تجمع للناس حر». على أنه تنبغي مناقشة فشل الدول الاشتراكية بالقياس إلى هذه المبادئ الأربعة. وحينذاك يبدو أن الفشل متأت من خيانة الدول الاشتراكية لنفسها، وليس من التشبث بمبادئها كما يمال إلى ادعاء ذلك. وهكذا، فإنه في الصين، مثلا، صير إلى التخلي عن الشيوعية باسم الشيوعية نفسها، وتخلى الحزب الشيوعي عن شيوعيته وأخذ بمبادئ الرأسمالية وما صار له اليوم من الشيوعية سوى الإسم.

وهكذا، يرى الفيلسوف أنه منذ عهد الفراعنة والأباطرة الصينيين نُشِّئنا على فكرتي «التفاوت» و«التنافس»، بينما الفكرة الشيوعية. القائلة بضدي هذين المبدأين. هي الفكرة الأولى التي ثارت ضد هذا الطراز من الدعاوى. على أن الستالينية عملت على «دوللة» الفكرة الشيوعية. مائلة إلى السلطوية والعنف. خائنة بذلك جوهر الفكرة الشيوعية الثوري.

وفي الفصل الثالث من الكتاب. الثورات على محك التاريخ. يستعيد المؤلف الفكرة الأساسية في الكتاب: ما كانت السياسة بقابلة للاختزال إلى السيطرة على حركة شعبية من قبل تنظيم قادر على الاستحواذ على السلطة -الحزب الحاكم أو الحزب- الدولة في الأنظمة الاشتراكية- وإنما السياسة تؤلف بين أطراف في جدلية تشاورية. وأحد هذه الأطراف الجدلية وجود حركات شعبية حقيقية. وهنا على الثورة التي سمحت بالمجيء إلى السلطة بقوى جديدة ألا تمسي هي

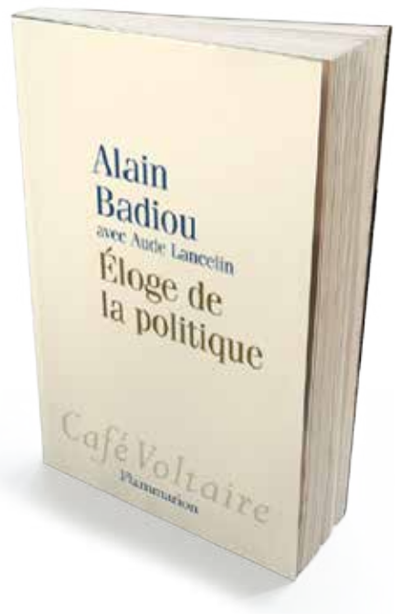

آخر فعل تقوم به الجموع، بل على الجموع ألا تكف عن الفعل على طريقة الثورة الثقافية الصينية التي لا يخفي المؤلف إعجابه بها! ثم إن من خطأ أي ثورة أن تقوم بتذويب الحزب الثوري في جهاز الدولة، وعليها أن تصير هذا الحزب واسطة بين الجماهير الثورية وجهاز الدولة. ثمة إذن جدل مكون من ثلاثة أطراف: الجماهير والحزب والدولة. وخطأ الأنظمة الشيوعية كامن في أنها تصورت نفسها في إطار فكرة نجاح سريع وتام ... والحال أن السعي إلى النجاح المباشر من شأنه أن يجعل من مقولة «الثورة» المقولة الجوهرية، من غير أن يعي أن مقولة «الثورة» لا يمكن أن تكون إلا مقولة «حدثية»؛ أي قطيعة تؤدي إلى صعوبات جمة أكثر مما تحلها. فالثورة مفتتح السياسة وليس خاتمتها. ذلك أنه حين تُسقط وجها من وجوه الدولة وتعوضه بآخر، فليس يعني هذا أن المجتمع قد تغير. الناس يعشقون الظفر، لكن يجب تغيير تصور «الظفر» نفسه. ومن ثم، كان ظفر الثورتين الروسية والصينية ظفرا شبيهيا لا حقيقيا.

وفي الفصل الرابع. ما الذي يحمله اسم اليسار اليوم؟. يتناول الفيلسوف ومحاوِرَته نقد اليسار، لا سيما منه الفرنسي، والذي ما عاد في رأي الفيلسوف يسارا بالمعنى الحقيقي؛ أي ما عاد يقدم بديلا حقيقيا للوضع القائم؛ أي للطريق الرأسمالي المهيمن. ويرى باديو أن جزءا كبيرا من التخبط الذي يعيش فيه اليسار يكمن في غياب المثقف اليساري الحق ذي القناعة بأن ثمة طرقا أخرى غير الطريق المهيمن، على طريقة ماركس وإنجلز ولينين وماو الشاب وتروتسكي وروزا لوكسمبورغ وكاسترو. هذا مع العلم أن طبيعة الأنظمة السياسية اليوم تسعى إلى استدامة هذا الوضع حيث يغيب المثقف، مخافة أن يفقه الناس أن ثمة طريقا آخر للعيش غير الطريق السائد.

وتختتم الفصول بفصل يتناول السياسة المحلية للرئيس الفرنسي الجديد. ماكرون والانقلاب الديمقراطي. حيث يصف الفيلسوف انتخاب الرئيس الفرنسي في مايو من عام ٢٠١٧ بأنه «انقلاب ديمقراطي». ويرى أن ما يسميه «الماكرونية» أحدثت بالفعل «انقلابا» على نظام التناوب على السلطة بين الحزبين التقليديين يمين/يسار. والحال أن ملل الناس من هذا النظام وتطلعهم إلى طريق آخر هو الظرف الذي شجع ماكرون على «انقلابه». وهو «انقلاب»؛ لأن الرجل استحوذ على السلطة من غير المرور بالمراحل التقليدية: إنشاء حزب يتطور شيئا فشيئا إلى أن يمسك بمقاليد الحكم، بل عمد إلى العكس تماما: هنا شخصية تنشئ حزبا مصطنعا، وليس حزبا تبرز فيه شخصية. وكان الشعار الذي اتكأ عليه شعارا تخويفيا: إما أنا أو اليمين المتطرف! وبه يديم لعبة البديل الرأسمالي الأوحد. ولهذا يدعو الفيلسوف إلى مقاومة شعبية لهذا النظام بإطلاق نقاش حول المسارين: الرأسمالي والشيوعي.

في خاتمة الحوار، يعود الفيلسوف ليؤكد على أن الفكرة الشيوعية التي يجدد الدعوة إليها ما كانت مجرد ثورة، بل هي وجه من وجوه الوجود البشري بعامة الذي يقطع مع حال أشياء دامت منذ آلاف السنين: مجتمعات لا تقوم على المساواة يسيرها فريق مهيمن يستهدي بالملكية الخاصة لوسائل الإنتاج وتحميه الدولة. ولا يؤمن الرجل بحتمية سقوط النموذج الرأسمالي الوشيك. ولا هو مع الناعين الرأسمالية الذين يعتبرون أنها ماتت منذ أمد وأن غبار جثتها قريب التطاير. والحقيقة عنده أن الرأسمالية لا تنهار، وإنما بالضد تنتشر وتغزو آخر معاقل العالم. والذي عنده أن فشل الأنظمة الاشتراكية ما كان دق مسمار في إسفين نعشها، وإنما هي بدايات جديدة. فضدا على ستالين، يعلن الفيلسوف أن الثورة لم تنته، وإنما الثورة الروسية كانت بداية وحدثا استثنائيا في التاريخ.

تتساءل المحاوِرة: أيشكل حقا كل ما تم تداوله إلى الآن مديحا للسياسة؟ وهلاَّ يمكن للسياسة أن تجعل الإنسان يحيا سعيدا؟ وكيف يمكن أن يبدو شيوعي ناجح ومكتمل حقا؟ وجواب الفيلسوف: أجل، هذا مديح للسياسة بلا مرية. إذ من بين كل المبادرات الفنية والعلمية والعشقية والسياسية، التي أظهرت البشرية أنها قادرة عليها، فإن الشيوعية، بلا شك، هي المبادرة الأكثر طموحا والأشمل التي سوف تعلو بالجنس البشري فوق قوانين المنافسة والبقاء بأي ثمن، وفوق المصلحة الخاصة، وفوق العداء للآخرين. يعني أنها ستحلق به فوق قوانين الحياة الفظة، وقوانين الحيوانية، وقوانين الطبيعة، وقوانين الغاب. هي، أخيرا، الخروج من عصر البشرية الحجري. أما السعادة فيها، فتكمن في الحركات الجماعية التعاونية التي هي فعل واعد خالد ناجح، وعلى حد عبارة اسبينوزا: «فيها تجربون أنكم خالدون». وتلك كلمة الفيلسوف الختامية. وبها يلتبس الأمر على القارئ: أهو، يا ترى، مديح للسياسة أم هو مديح للفكرة الشيوعية؟ لكن هل تسوغ هذه التسوية؟ وهل يجوز القول: كما أنه لا يوجد في القنافذ أملس، فكذلك لا يمكن أن يكون ثمة بشر أميز؟ وما مستقبل التعددية السياسية في ظل هذه الفكرة التي يدعو إليها المؤلف؟ تلك هي القضية، لكنها قضية عندنا وليست قضية عنده.

عنوان الكتاب: مديح السياسة
المؤلف: ألان باديو بالاشتراك مع أود لانسولان
السلسلة: Café Voltaire
دار النشر: Flammarion
سنة النشر: ٢٠١٧
لغة النشر: الفرنسية

*** أكاديمي مغربي**

شالوم وسلام: ضد الدعوى الغربية بمعاداة السّامية في حقّ الإسلام لمحمد سمير مرتظى

رضوان ضاوي *

نقدّم في هذا العرض مؤلّفاً جديداً للباحث الألماني محمد سمير مرتظى، المتخصص في الدراسات الإسلامية، بصفته أوّل مسلم ألماني يعمل منذ ٢٠١٠ باحثاً مساعداً خارجيّاً في مؤسسة الحوار الديني «فلت إيتوس Weltethos» التي أنشأها عالم الدين الكاثوليكي «هانس كونغ Hans Küng» والتي اقتنع مؤلّف هذا الكتاب بمبادئها التي نلخصها في أنّ التعايش السلمي يعتمد على التوافق في الآراء حول المعايير الأخلاقية؛ فـ«لا سلام بين الأمم بدون سلام بين الأديان»، و«لا سلام بين الأديان بدون حوار بين الأديان»، و«لا حوار بين الأديان بدون بحث أساسي في الأديان».

تناول الباحث الألماني محمد سمير مرتظى بالمناقشة في كتابه «شالوم وسلام: ضدّ الدّعوى الغربية بمعاداة السّامية في حقّ الإسلام» أطروحته التي تؤسس للعلاقة بين المسلمين واليهود في ألمانيا. وتقوم هذه الأطروحة على دعوة الكاتب إلى توخّي الحذر من الاتهامات الصادرة عن فاعلين ألمان وأوروبيين للمسلمين بالقيام بأعمال تدخل في إطار ما يصطلح عليه بالعداء للسامية. فهو يجادل بأن الإسلام ليس معاديّا للسامية، كما يعارض محمد مرتظى في كتابه الجديد استخدام القرآن من أجل التبرير لمعاداة السامية، ويدعو المسلمين في الوقت نفسه إلى انتقاد تلك المواقف.

ومن أجل الدفاع عن أطروحته، قدّم المؤلف هذا البحث في فصول يمكن توزيعها ووضع أبواب تتوفر على مجموعة من العناوين المتكاملة فيما بينها على النحو التالي:

خصّص الباحث القسم الأول من هذا الكتاب لتاريخ العلاقة بين اليهود والمسلمين بداية من العصر القديم المتأخّر حتى العصر الوسيط، حيث تأرجحت هذه العلاقة بين الصراع والعيش المشترك. ثم ركّز الباحث على العصر الذهبي الذي شهدته هذه العلاقات خاصّة في إسبانيا الإسلامية. أما في القسم الثاني فقد ركّز مرتظى على تهمة الألمان للمسلمين الذين يعيشون في الغرب بمعاداة السامية. وقد تحدّث فيها المؤلف عن معاداة السامية المتوارية خلف الإسلام، باعتبارها ظاهرة اتسمت بها الحداثة الغربية. وهنا أقدم الباحث على تعريف القارئ إلى معاداة السامية الأوروبية وإلى الصهيونية، وعمل اللّوبي الصهيوني على أسلمة هذه الظاهرة. وختم المؤلف فصول كتابه بالقسم الثالث الذي طرح فيه مجموعة من الأسئلة قدّم من خلالها خطوات وطرقا ناجحة يمكن للمسلمين وغير المسلمين في ألمانيا تطبيقها واتباعها من أجل ردّ تهمة معاداة السامية الغربية في عصر ما بعد الحداثة وإنكار تهمة قيام المسلمين بهذا الفعل والذي يلصقه بهم الغرب.

أما مقدّمة الكتاب فقد تحدّث فيها الكاتب عن ضرورة ممارسة النقد الذاتي وإعادة النظر في الصور النمطية والعدائية المتبادلة بين أتباع الإسلام واليهودية. فيما جاءت الخاتمة متممة لما جاء في المقدمة، حيث حفّز فيها الكاتب على البحث عن المشترك الإنساني بين اليهود والمسلمين وضرورة التفكير في سرد جديد لهذه العلاقة، لهذا كان عنوان الخاتمة «كل خاتمة هي مقدّمة». وفي نهاية الكتاب ذيّل الباحث دراسته ببليوغرافيا مهمّة باللغات الألمانيّة والإنجليزيّة والمترجمة من العربية.

ومفهوم «العداء للسامية» مفهوم يهودي صهيوني معناه الحرفي «ضدّ السامية»، أو«معاداة السامية»، و«اللاسامية»، و«كراهية السامية». وانتشر هذا المفهوم في ألمانيا منذ اعتداء لاجئ سوري على يهود في برلين وأصبحت بعد هذا الاعتداء حوادث مماثلة موضوع النقاشات العامّة في ألمانيا. من هنا تفرّعت إشكالية هذا الكتاب إلى أسئلة عديدة من بينها: ما الذي يُمكن للمسلمين فعله لمواجهة تهمة معاداة السامية في الغرب؟ وكيف يمكن الاستفادة من واقعية الدولة الألمانية والتفكير في سرد مُغاير ومختلف لهذه المشكلة؟ وكيف يستطيع المسلم رفض التفكير في الصور العدائية وقبول التفكير في سرد جديد للعلاقة بين المسلمين واليهود؟

يقول المؤلف إن هذه التهم مصدرها حسابات خاطئة لأن الذين يستعملون القرآن ليستدلوا منه على معاداة الساميّة عند المسلمين، لن يجدوا ما يمكن الاعتماد عليه من الأدلّة سوى التفسير من جانب واحد. بهذا يشير الكاتب إلى وقوع المبشّرين بالكراهية في أزمة عدم وجود أدلة، حين يريدون التحصّل على مساجلات من القرآن. فالصورة العدائية لليهود، كما يقول الكاتب، هي اكتشاف الغرب في العصر الحديث بصفته سلوكاً مرفوضاً للكثير من المسلمين، وهي صور عدائية لها علاقة بترجمة الكتابات المعادية للسامية ذات المرجعية المسيحية أكثر منها لها علاقة بمضمون القرآن الكريم ذاته، وهي بالأساس تكمن في التطورات السياسية لما بعد الحرب في ألمانيا واستباحة الصهاينة لأرض فلسطين.

من هنا نستنتج أن كتاب مرتظى يستهدف مجتمعه الإسلامي في ألمانيا، حيث يدعوهم إلى النقد الذاتي، والتسامح، وأيضاً غير المسلمين من الألمان، كما أنه مؤلّف تصالحي ملتزم بإخلاص بالحوار بين أتباع الديانتين اليهودية والإسلامية، ويقدم خلاصة غنيّة بالمعارف عن تاريخ اليهودية والإسلام، كما يقدم أساساً مميزاً للحوار المؤهّل لتجاوز الاختلافات الواقعية ومصاعب الحوار.

يشير الباحث إلى أنه لم يكن الدين وحده من العوامل المؤثرة في علاقة المسلمين باليهود، بل أيضاً الظروف التاريخية، ورؤى الماضي والسياقات الجغرافية والزمنية. لكن، من وجهة نظر الباحث الألماني محمد سمير مرتظى، يظل القرآن والسنة هما المصدران الوحيدان اللذان يقودان المسلمين في تعاملهم مع اليهود والمسيحيين. وقد أشاد رجال الدين اليهود بالنبي محمد وبخصاله وبرسالته، ومنهم «الحاخام ليو بيك»، الذي اعتبر أن: «النبي محمد كان واحدا من أكثر الناس أصالة وأبرّهم في أي وقت مضى. وتساءل هذا الحاخام: ما الذي يفصل بين الإسلام واليهودية؟-ليس كثيراً. إنّ الإيمان بالله الواحد يوحد، والإسلام يطالب بالأعمال الصالحة، وقد أحضر أيضًا شيئًا لم يكن لدى الكنيسة أبداً، وهو: الديمقراطية الحقيقية، في الإسلام، لذلك من المفهوم أنه في العصور الوسطى عاش اليهود والمسلمون بعضهم قرب بعض، جنباً إلى جنب بسلام في وعي بالتآزر».

في شهادة ثانية لحاخام يهودي، كتب كل من «ياكوف رابكين» و«هندة رابكين» هذا المعنى بأن العديد من اليهود اعترفوا بالنبي محمد. أمّا «الحاخام ألن س. مالر» فيكتب أنه رغم عدم إيمانه بالإسلام، إلا أنه لا يعارضه: «أنا (...)

لا أؤمن بالقرآن، لكن لا أعارضه. لا يمكنني رفض القرآن. لأني أحترمه كإعلان لشعب معيّن بلغة واقعية، هذا الشعب ولغته وعلمه أقرب إلى شعبي ولغتي أكثر من أي شخص آخر».

ويستفيض الباحث في شرح وجهة نظر الباحثين الألمان المنصفين فيقول إنه بشكل عام، اليهود لديهم احترام خاصّ للإسلام وللنبي محمد وللقرآن. وبالنظر إلى الموضوع من معنى إيماني، فإنَّ الديانتين اليهودية والإسلام لديهما الكثير من القواسم المشتركة. وقد كان التفاعل بين اليهود والمسلمين في فترة الخلفاء الراشدين والفترة الأموية التالية قد ترك آثاراً عميقة على كلٍ من الإسلام واليهودية. كما ساهم اليهود والنصارى إلى جانب المسلمين في الحياة الإسلامية الفكرية والثقافية.

بعد الحرب العالمية الأولى، وبعد الهزيمة في الحرب العربية الإسرائيلية، اشتد العداء للصهيونية في العالم الإسلامي، الشيء الذي جعل الغرب يعمل على أسلمة معاداة السامية ويجعلها، ضمن مؤامرة كبيرة، معاداة إسلامية للسامية، مستشهدين في ذلك بكتب مفكرين مسلمين مناهضين للصهيونية، مع إهمال الغرب عنوة وجود الكثير من المفكرين الغربيين المناهضين للصهيونية. من هنا إذن تأتي ضرورة إعادة تفسير جذري للتاريخ الإسلامي اليهودي، من خلال إعادة النظر في بعض الأدبيات الإسلامية التي تدعم الغرب في نظريته وتجعل معاداة السامية متأسلمة ليفسروا بها ما يحرصون على تسميته بـ«الإضمحلال والتدهور الحضاري» الذي يعرفه العالم الإسلامي.

يقول «مايكل كيفر» في أطروحاته المستنيرة بخصوص هذا الأمر: «علينا أن ننظر إلى المدرسة بوصفها المؤسسة الأكثر ارتباطاً بكثير مع عالم الحياة وبالمجتمع. ولهذا يجب أن تعطى دروس للطلاب ذوي أصول مهاجرة في الدين الإسلامي. كما ينبغي دمج الموضوع في تكوين المعلمين، وتنشيط الحوار اليهودي - الإسلامي، ومناقشة معاهدات السلام، وعمل أتباع الديانات الثلاث على بناء تقاليد الموروث المشترك والخبرة المشتركة.

ولكي يزيل الباحث في الدراسات الإسلامية محمد سمير مرتظى اللبس بخصوص مصطلح «معاداة السامية» يوضح أنه لا يستخدم كلمة «معاداة السامية الإسلامية»، لأنه لا يوجد معاداة للسامية الإسلامية، ولكنه يتحدث عن معاداة السامية الأوروبية التي تم أسلمتها وإلصاقها بالمسلمين في ألمانيا، مما يتوجب علينا نحن المسلمين تحرير أنفسنا وضبط المفاهيم. إن الخلط بين معاداة السامية المعاصرة و«تهمة معاداة السامية الإسلامية» هو أمر غير دقيق، «فغالبية المسلمين في ألمانيا يرغبون في الاندماج بعمق، وجرائم قتل اليهود في ألمانيا من فعل ألمان. كما أن معاداة السامية موجودة في أماكن أخرى لا يوجد بها مسلمون بالمرة. ويضيف الكاتب أنه هنا في الغرب لا يوجد

مثل هذا القدر من التمايز، حيث يتحدث المرء باستمرار في وسائل الإعلام عن معاداة السامية الإسلامية كذباً وزوراً. فبعد اعتداء شاب سوري على يهوديين في برلين يجمع الكثير من المهتمين الألمان بأن الجدل حول معاداة السامية في الغرب إنما هو محاولة لاتهام مسلمي ألمانيا، علماً بأن جرائم معاداة اليهود أو السامية يقف وراءها ألمان ينتمون إلى اليمين المتطرف أو النازيين الجدد، وليس المسلمون. فالعداء للسامية موجود في ألمانيا قبل وجود اللاجئين على أراضيها. وكشف هذا اللبس يحتاج إلى مشاركة المراقبين والمختصين بنظرة موضوعية في هذا الجدل المتواصل في ألمانيا. وقد اتهم المؤرخ موشى تسيرمان في مقال نشرته له صحيفة فرانكفورتر أن جدل الاتهامات الجديدة للمسلمين إنما هي استراتيجية لصرف النظر عن الاعتداءات ضد السامية التي يرتكبها ألمان أصليون. وكل تلك التهم إنما هي عبارة عن فلسفة تشويه سمعة المسلمين في ألمانيا. من هنا يدعو الكاتب إلى أن نكافح ضد معاداة السامية نفسها بوصفها هي الهدف.

إن هؤلاء المدّعين لا يكافحون معاداة السامية ولا العنصرية، بل إن غرضهم أساساً هو شيطنة الجالية المسلمة في ألمانيا. ويعتبر العرب من بين أهم الشعوب التي اتهمت بالعداء للسامية لأنه يكتب تاريخهم العام بواسطة المؤرخين الصهاينة من زاوية العداء والكراهية رغم أن المؤرخين اليهود الموضوعيين والسابقين لظهور الصهيونية اعتبروا حياة اليهود في العالم العربي والإسلامي تمثل العصر الذهبي في التاريخ اليهودي. وعليه، فإن معاداة السامية في أوروبا أصلها ومنبتها هي ألمانيا وأوروبا.

وقد جاء في خاتمة هذا الكتاب بعنوان «كل خاتمة هي مقدمة: دعوة إلى إشارة مشتركة»، أن عاشوراء، التي يحتفل بها المسلمون واليهود، والتي تبدأ يوم العاشر من الشهر العربي المحرّم، والكثير من المسلمين واليهود اهتموا بطرح السؤال عما إذا كانت عاشوراء توافق عيد الغفران اليهودي في اليوم العاشر من شهر تشريه حسب التقويم اليهودي. وكان العالم الهندي أبو الحسن علي الندوي (توفي في ١٩٩٩) قد أشار في عرض مقنع جداً بأن يوم عاشوراء يوافق عيد الفصح اليهودي الذي نجى فيه الله تعالى بني إسرائيل من بطش فرعون، وفيه يشكر اليهود الله لأنه نجاهم منه، وفيه يتخلى الكثير منهم عن أكل الأكلات المخمرة (المصنوعة من العجين المخمر).

ويختم الباحث محمد سمير مرتظى كتابه بفقرة يدعو فيها إلى النظر إلى المشترك الإنساني الذي يجمع ولا يفرق، والذي قد يكون سبباً في العيش بسلام ووئام وتسامح بين الناس. ويطلب من المسلمين واليهود استغلال فرصة تاريخية لها أهميتها عندهم. ففي ٢٠٣٣ ستحلّ عاشوراء في ١٠ أبريل، بينما ستكون بداية عيد الفصح اليهودي في ١٤ أبريل، مما يدل على أن المسلمين واليهود سيحتفلون في وقت واحد. بالتالي لدى المسلمين واليهود في ألمانيا خمسة عشر سنة لكي يحتفلوا سوية في ٢٠٣٣ بعاشوراء وبعيد الفصح ويعملوا سويّة وينتظموا في مواجهة تهمة العداء للسامية التي يعمل الغرب على أسلمتها وإلصاقها بالمسلمين في ألمانيا وفرنسا. يقول مرتظى: «يتوجب عليهم فقط البدء بالتحضير لهذا الأمر».

يبدو أن مشروع مرتظى متدرج على نحو متكامل، فمن اهتمامه بأفكار الإصلاح، إلى اهتمامه بالفلسفة الإسلامية، ثم التسامح والحوار بين المسلمين واليهود. ويقصد بالمحور الثالث خلق تصور معاصر عن التسامح في الإسلام من خلال التركيز على أهمية الحوار اليهودي الإسلامي وهدم دعوى الألمان والغرب بمعاداة المسلمين المقيمين في ألمانيا للسامية، والتي يقول مرتظى إنها مرتبطة تاريخيّاً بالصراع في الشرق الأوسط، وبالتالي فهي إشكالية قابلة للمعالجة. ففي كتابه موضوع هذه المراجعة، خلص مرتظى إلى أنه حتى إذا كان هناك بعض المسلمين معادين للسامية، فإنهم لا يجدون في القرآن الكريم أدلّة يستندون عليها. هم يعتمدون فقط على الكتابات الغربية-المسيحية المعادية للسامية، حيث يقومون بأسلمة هذه النصوص الغربية واستغلالها في خدمة إيديولوجية الكراهية.

الكتاب: شالوم وسلام: ضد الدّعوى الغربية بمعاداة السّامية في حقّ الإسلام
المؤلف: محمد سمير مرتظى
اللغة: الألمانية
دار النشر : إنفو ٣، فرانكفورت على نهر الماين، ٢٠١٨.
عدد الصفحات: ١٥٤ صفحة.

*** مترجم وباحث مغربي**

الهجرة الروسية إلى مصر 1920 – 1980

فلاديمير بيلياكوف

فيكتوريا زاريتوفسكايا *

من الهزات الاجتماعية التي أحدثتها الثورة الاشتراكية في روسيا عام ١٩١٧، والحرب الأهلية التي تلتها، ثمة موجات الهجرة التي تدفقت من روسيا إلى العديد من البلدان المجاورة، ومن هذه البلدان ارتحل المهاجرون الروس مرة أخرى إلى بلدان قصية وأبعد ما يكون عن حدود وطنهم مثل أستراليا وبلدان أمريكا اللاتينية. وبين هذه الموجات التي تنوعت مقاصدها (وإن ظل البحث عن الاستقرار هو دافعها الأكبر) تدفق تياران رقيقان انصبا في شمال إفريقيا وذلك في عام ١٩٢٠، أحدهما كان بهدف إجلاء الجرحى والمرضى من الجنود البريطانيين ومن رافقهم من مدنيين من مدينة نوفوروسيسك الروسية إلى مدينة الإسكندرية في مصر، والآخر حدث ضمن عملية انسحاب قام بها أسطول البحر الأسود من ميناء سيفاستوبول إلى ولاية بنزرت التونسية. وبالمقارنة مع الأعداد الكبيرة التي تدفقت إلى الغرب وأمريكا الجنوبية وأستراليا، فإنَّ تعداد المهاجرين الروس إلى الشطر الشمالي من إفريقيا انحصر بين أربعة إلى خمسة آلاف شخص.

واجهت المستشرق الروسي فلاديمير بيلياكوف صعوبات جمة في تجميع مادة كتابه عن المهاجرين الروس في مصر وإنشاء بحثه في وصف الظروف المعيشية التي أحاطت بالمهاجرين واستقراء وضعهم في المُجتمع المصري ورصد مساهماتهم في مد الجسور بين البلدين، ذلك لأنّ الشرذمة والانقطاع صفتان لازمتا «الجالية» الروسية في مصر؛ فبعض المهاجرين لم يطل مقامه، حيث عاد إلى روسيا في نفس العام بعد أن تلقى العلاج في المستشفيات البريطانية هناك. مهاجرون آخرون، وبعد قضاء عامين في مُخيمات اللاجئين، آثروا السفر إلى بلغاريا وصربيا، وفي الأخير بقي الرهط من المهاجرين الذين تمكنوا من الانفصال عن مراكز اللجوء وتلمس الطريق داخل المجتمع المصري المختلف. اليوم، ولو بحثنا عن أحفاد المهاجرين الروس إلى مصر، سنجدهم متفرقين في الأرض وموزعين على جهاتها الأربع.

يركز المؤلف على مسألة تكيف المهاجرين الروس التي شابتها الصعوبات الناتجة عن اختلاف البيئة الثقافية والدينية في مصر، بعكس ما جرى للمهاجرين إلى الجانب الأوروبي أو حتى إلى قبرص القريبة من مصر، حيث سهل الاندماج بين المهاجرين والبلدان المستقبلة بسبب القواسم المشتركة فيما بينهم.

ويتناول الكتاب مصير المهاجرين الروس إلى مصر من خلال منظور التاريخ المضطرب للبلد المضيف والذي كان بحسب وصف المؤلف «نعمة ونقمة على الروس» (ص ٣٨). كما يرصد المؤلف عملية تشكل النمط الحياتي للمهاجرين الروس عبر ربطهم بالحلقات المجتمعية التي تماسوا وتداخلوا معها في مصر، ويجد أن أولى هذه الحلقات وأقربها إليهم كانت حلقة المواطنين الأوروبيين المقيمين في مصر قبل وفود المهاجرين الروس إليها (وكانت أعدادهم غير قليلة آنذاك)، حيث ساهموا كثيرا في تحديد مصير القادمين الجُدد. فإلى جانب القواسم الثقافية المشتركة بين الجانبين، الروسي والأوروبي، يرجع الكاتب سبب اجتذاب الروس إلى الأوروبيين، إمكانية الحصول على عمل لدى أقرانهم الأوروبيين وما وجدوه لديهم من تجاوب إيجابي في هذا الشأن. من ناحية أخرى، فإنّ المجتمع العربي، مع بعض الاستثناءات القليلة، كان ينسب الروس إلى الكتلة الأوروبية العامة، وكان يقاطعهم بسبب ذلك، أو، في أحسن الأحوال، يعاملهم معاملة باردة. ووفقاً لرئيسة لجنة مساعدة اللاجئين الروس في مصر الليدي سيسيلي كونجريف فإن المهاجرين الروس وجدوا أنفسهم في محيط يتسم بالاستنفار العام ضد الأجنبي المُهيمن وفي مرحلة نضال للمصريين للتخلص من هذه الهيمنة، فكان من الطبيعي أن يقع الروس في أتون الاحتقان والضغط وإن كان ذلك بلا نية تتقصدهم.

أفرد المؤلف فصلاً من دراسته لشخصيات بارزة من المجتمع الروسي ساهمت في إثراء الثقافتين الروسية والمصرية. فمن بين الروس الذين استقروا على ضفاف النيل كان الدبلوماسيون والضباط والأرستقراطيون وشخصيات ثقافية عامة وعلماء وأطباء ومهندسون. ويورد المؤلف أسماء لبعض الشخصيات الروسية التي كانت معروفة في بلادها مثل الطبيب والفيزيائي أنريب (١٨٨٩- ١٩٥٥) وممثلة المسرح الإمبراطوري الأميرة ناديجدا لانسكايا (١٨٩٢ - ١٩٣٧)، وعالم المصريات غولينيشيف، وهو أول أمين للآثار المصرية في متحف الإرميتاج، وقد تم تعيينه كأول رئيس قسم لعلم المصريات في جامعة الملك فؤاد (جامعة القاهرة). وفي عام ٢٠٠٦ وضع له تمثال نصفي في باحة المتحف المصري باعتباره أحد أبرز علماء المصريات في العصور قاطبة. ومن الشخصيات الأخرى التي تركت أثرا في تاريخ العلاقات الروسية المصرية سكرتير القنصلية الروسية في الإسكندرية، إيفان أوموف (١٨٨٣ - ١٩٦١) الذي ألف الكثير من المقالات عن الأدب العربي وقام بترجمة طيف منه إلى اللغة الروسية.

شخصية أخرى أحاطها المؤلف بقسط وافر من التعريف تتمثل في الفنان الروسي بوريس فريدمان - كليوزيل (١٨٧٨ - ١٩٥٩) الذي حط رحاله في القاهرة عام ١٩٢٩. ومن مآثره هناك تأسيسه لقسم النحت في كلية الفنون الجميلة في جامعة الملك فؤاد (جامعة القاهرة) التي كانت قد أنشئت حديثاً. وخلال إقامته في القاهرة بعد ذلك قام بإنشاء مدرسة فنون النحت الحديث، ومن بين الطلبة الذين تخرجوا على يديه هناك الفنان المصري المعروف محمد بهجوري وزميله حسين بيكار. ومن بين آثار هذا الفنان الماثلة للعيان ثمة المنحوتة التي تزين درج كنيسة الروم الأرثوذكس (مارجرجس) وتمثال مؤسس المتحف القبطي مرقس باشا سميكة.

إضاءة أخرى يقدمها كتاب المهاجرين الروس إلى مصر تتمثل في الفنان الروسي إيفان بيليبين (١٨٧٦ - ١٩٤٢). يرسم المؤف، بادئ ذي بدئ، صورة عامة عن هذا الفنان واصفا مكانته الإبداعية في روسيا، ثم يأتي بعدئذ ليتتبع سيرته الحياتية والإبداعية في مهجره المصري. وفي هذا الجانب، يقدم لنا الكاتب هذا الفنان بصفته الصوت المشبع بالطاقة والروح الطافحة بالأمل وذلك برغم الظروف الصعبة وحياة الشتات التي يعيشها

مع بني جلدته. كما يقوم المؤلف بنقل انطباعاته عن مصر وحياته فيها من خلال استشهاده بكتاب ألفه الفنان نفسه حمل عنوان «مصيري» ومن أجوائه ما يلي: «في عام ١٩٢٠ ألج إلى عالم جديد وغريب، لكنه ثمين بالنسبة لفنان، هنا في مصر حيث أعيش وأعمل منذ خمسة أعوام. لن أنسى أبدا ذلك الانطباع المذهل عندما دخلت إلى الأحياء الإسلامية القديمة في القاهرة، بمساجدها المدهشة التي تعود إلى بدايات الزمن الهجري، بأسواقها وحشودها. لقد بدا لي أن إحدى صفحات ألف ليلة وليلة قدانفتحت أمامي، حتى أنني لم أتمكن من تصديق أن كل هذا يحدث حقيقة، وأن العصور الإسلامية، إن شئتم، مازالت حية حتى اليوم، وأن الحياة بقيت على حالها تقريبا. إن الأحياء الإسلامية في القاهرة تمتلك خصوصية كبيرة، هندستها المعمارية رائعة، وهناك الكثير من الآثار، والكثير من البازارات، والمحلات التجارية، والتجار،والمتسولون، والبدو، والزنوج، والجِمال، والحمير المزيّنة، والسجاد، والحلويات، والفاكهة، في كلمة واحدة، بإمكانك أن تجلس هنا وترسم لوحة من الحكايات الشرقية الخرافية!» (ص ٩٢).

عاش بيليبين في القاهرة حيث قام بإنشاء أرشيف صور فريد من نوعه، وهو محفوظ اليوم في روسيا، وقد كان بيليبين متحمسا بشدة للفن القبطي، ويعتبره الأب المباشر وليس الجانبي للفن الروسي، وكان يتهيأ لإثبات فرضيته هذه عبر أرشيف الصور خاصته ولكن الوقت لم يسعفه لذلك. ومن الأعمال الفنية التي مازالت شاهدة على حياة هذا الفنان العاشق لمصر هناك إيقونات كنيسة القديسة بنتيليمون الملحقة بالمستشفى اليوناني في حي العباسية بالإضافة إلى اللوحات التي أصبحت مقتنيات خاصة.

يتوصل الكاتب إلى استنتاج مفاده أن الشتات الروسي ترك أثرا كبيرا في مصر ولا يقارن بعدد المهاجرين. لقد كان معظمهم من المتعلمين وكانوا يكسبون خبز يومهم من حرفة التعليم، وبالنتيجة تكونت مجموعات من الموسيقيين والأطباء وعلماء المصريات والنحاتين المصريين ممن أصابوا تعليما لدى المهاجرين الروس. لذلك فليس من قبيل المصادفة أن تكون النخبة المثقفة المصرية حاضرة في الاحتفالات الخيرية السنوية التي كانت تقيمها الجالية الروسية في القاهرة ويعمدها الملك نفسه وذلك تكريما للدور الثقافي لهذه الجالية في مصر. من جانب آخر يشير الباحث إلى طبيعة الإنسان الروسي الميالة إلى المجال الثقافي منه إلى المجال التجاري وعالم المال، ويضرب مثالا على ذلك مشاريع الجالية الروسية في مصر كمصنع الحلويات في القاهرة والمطاعم الروسية وأكشاك التبغ ومحلات الوجبات

السريعة على الشواطئ التي أغلقت أبوابها بعد أشهر قليلة من افتتاحها.

يسلط فلاديمير بيلياكوف الضوء على نجاح استراتيجي في العلاقات بين الدولتين، الروسية والمصرية، لم يكن ليتحقق لولا وجود المهاجرين الروس في مصر. فبعد قيام الثورة البلشفية عام ١٩١٧ وحتى شهر أغسطس من عام ١٩٤٣، كانت العلاقات بين الاتحاد السوفيتي ومصر، كما هو معروف، شبه معدومة، وكانت الروابط التجارية وغيرها من الروابط منقطعة. وخلال الفترة الموالية قام المهاجرون الروس بملئ الفراغ وعقد الروابط بين الشعبين الروسي والمصري، فوفقا لتواجد المهاجرين في مصر، استطاع المصريون أن يحددوا نظرتهم من الروس ويضعوا تصورا مكتملا عنهم، الأمر الذي دعم الصورة الإيجابية للروس لقرون لاحقة. يقول الكاتب في هذا الصدد: «أعتقد أن هذه الصورة كانت أحد العوامل في تطور العلاقات الروسية المصرية، وإن بقي التطور الرئيسي والسريع هو ذاك الذي حدث بعد ثورة عام ١٩٥٢» (ص ٦)

وبحسب المؤلف فإن الدور الذي قام به المهاجرون الروس في مصر شكل دافعا لأن يتجه المصريون إلى الخبراء السوفيت، وليس الغربيين، لإنشاء المدارس الوطنية المصرية للموسيقى الكلاسيكية والبالية والسينما والسيرك، مع عدم إهمال الاعتبارات السياسية التي لعبت دورها المحوري في هذا الاتجاه.

خلافا لذلك يثير المؤلف سؤالا دقيقا ومثيرا للاهتمام حول طبيعة المساهمة التي قدمها المهاجرون الروس للثقافتين المصرية والروسية، وهل يمكن اعتبارها منجزا حضاريا بالمعنى الكوني للكلمة؟ يجيب الباحث بالقول إن الأمر يتوقف على طبيعة النشاط، فإذا كنا نتحدث عن إنتاج المواد الثقافية وخدمات التعليم، ففي هذه الحالة يصح التأكيد على أن المهاجرين الروس من مهندسين وأطباء ومعلمين قد ساهموا بشكل خاص في الثقافة المصرية، أي في المكان العيني الذي أقاموا فيه وليس في أي مكان آخر. بيد أنه، وعند تناول إسهامات العلماء والفنانين الكبار، فالحديث هنا يدور عن مساهماتهم في الثقافة العالمية ككل ومنها الثقافة الروسية نفسها، وليس في الثقافة المصرية عينيا وحصريا.

يربط المؤلف مسار بحثه بصفحات من مذكرات بعض المهاجرين الذين دفعتهم الظروف القسرية إلى مغادرة بلادهم والسفر إلى مصر، وهي صفحات تحمل قيمة فنية إلى جانب قيمتها التاريخية وتنقل لنا قبسا من الأجواء الاستثنائية التي أحاطت بعض المهاجرين مثلما يرد في هذه الكلمات المؤثرة: «دفن موتانا هنا من غير توابيت، ولسبب ما، لم يدفنوا في المقابر العامة حيث النخيل وأزهار الدلفى، وإنما في مكان منفصل. في صحراء صفراء، بمعزل عن مخيمنا، ثمة ساحة مسيجة بسلك شائك، تلك كانت مقبرتنا. إليها جلب الموتى الروس بنقالات المستشفى وهي ملفوفة ببطانيات قديمة ودفنت في الرمال... كومة من حصى البحر الأبيض كانت تعبرفوق القبور أما أسماء الموتى فنقشت على العلب وشبكت بصلبان خشبية... لقد كانت أفقر ما يمكن رؤيته من مقابر وأكثرها حزنا. لا أضرحة، ولا أكاليل، ولا شواهد للقبور، فقط مشهد البحر ولانهائية الرمال، فوقهم السماء والغيوم السارحة والسلام الأبدي والصمت المطلق للصحراء» (ص ١٩).

احتوى الكتاب على مجموعة كبيرة من الوثائق، وجزء كبير منها يقدم للمرة الأولى، إلى جانب الصور الفوتوغرافية ووصف للمقبرة الأرثوذكسية الروسية في مصر.

أخيرا تجدر الإشارة إلى أن هذا الكتاب هو الأحدث من بين سلسلة دراسات بين العلاقات الروسية المصرية يقوم بها الصحفي والمؤرخ الروسي، الأستاذ في الجامعة العسكرية بموسكو فلاديمير بيلياكوف، مؤلف أكثر من اثني عشر كتابا في هذا المجال يُذكر منها كتاب «إلى ضفاف النيل المقدس» وكتاب «مصر الروسية» وكتاب «الجنود الروس في شمال إفريقيا ١٩٤٠ - ١٩٤٥.. العلمين.. صفحات تاريخ مجهول».

الكتاب: الهجرة الروسية إلى مصر ١٩٢٠ - ١٩٨٠.
المؤلف: فلاديمير بيلياكوف.
الناشر: أليتيا/ موسكو ٢٠١٨ باللغة الروسية.
عدد الصفحات: ٢٦٤

***أكاديمية ومستعربة روسية**

هل البابا فرانسيس مدعاة للفُرقة؟
جان فرانكو سفيدركوتسكي

عزالدين عناية *

في هذا المؤلَّف الصغير الحجم والعميق المضامين، الصادر باللغة الإيطالية من تأليف أحد أبرز الوجوه الإعلامية في الأوساط الكاثوليكية، الكاتب والصحفي جان فرانكو سفيدركوتسكي، رئيس تحرير صحيفة «لوسّرْفاتوري رومانو» الأسبق، اللسان الناطق باسم حاضرة الفاتيكان، يحاول المؤلّف تقديم حوصلة للسنوات الخمس من بابوية حبر الكنيسة خورخي ماريو برغوليو المعروف بفرانسيس. مستعرضًا صاحب الكتاب فلسفة البابا القادم من أقاصي جنوب العالم من الأرجنتين، ومبرزًا مدى نجاحه وإخفاقه. لقد ورث البابا الحالي فرانسيس تركةً ثقيلة خلّفها البابا المستقيل راتسينغر، كنيسةً ترهقها البيروقراطية ويحاصرها الجمود ويستشري فيها الفساد. قدِم البابا فرانسيس محمَّلا برسالة ثقيلة، تتلخّص في خوض إصلاحات عاجلة داخل الكنيسة قبل الغرق، وهو ما بدأت تلوح نُذره.

يحاول سفيدركوتسكي في مستهلّ كتابه رسْمَ صورة عامة للبابا الحالي. منذ اعتلاء فرانسيس سدة بطرس (١٣ مارس ٢٠١٣) سعى ليكون البابا المتفرّد بمسلكه ورؤيته. وهو يدرك مليًا أنّ موقعه الجديد في حاضرة الفاتيكان، يتغاير جذريا مع موقعه الأسبق كرئيس أساقفة على هامش المركز في الأرجنتين. جعلت تلك العناصرُ فرانسيسَ يعوّل على خوض التغيير في ذاته قبل أن يخوضه في ساحة الواقع، الأمر الذي جعل منه في ظرف وجيز نجمًا إعلاميا ومحطّ أنظار وسائل الإعلام. صدرت في الأثناء مئات الكتب التي تناولت شخصه، وصار مدار حديث المتابعين للشأن الفاتيكاني، عن مسلكه الجديد، الصادم والمثير أحيانا. فهو البابا الذي أبى، منذ البدء، الإقامة في القصر الرسولي المنيف (مقر إقامة البابوات الرسمي) وأصرّ على السكنى في دير مجاور صغير، دير القديسة مارتا. ناهيك عن رفضه تقلّد الصليب المذهّب وإيثاره صليبا متواضعا، كما تخلّى عن السيارات الفارهة واختار أخرى شعبية رافعا شعار «كنيسة فقيرة لمؤمنين فقراء»، مستلهمًا في ذلك القول الإنجيلي -لا تستطيعون أن تخدموا الله والمال- (متى٦: ٢٤). الآن بعد مرور ما يفوق خمس سنوات على اعتلائه السدة البابوية، أي بعدَ أن -ذهبت الفورة وبقيت الفكرة-، يتساءل جان فرانكو سفيدركوتسكي (ص: ١٩) ما الذي وفّق فرانسيس في إنجازه وما الذي خاب في تحقيقه؟ فهل التَهمت المؤسسة فرانسيس على غرار غيره من السابقين برغم الآمال والوعود المغرية بالإصلاح التي رافقت مجيئه؟

ثمّة من يتحدّث الآن عن فتنة زرعها فرانسيس، وثمة من يتحدّث عن صراع محاور داخل كنيسة روما؛ لكن الجميع يتّفق أن ما تحقّق من وعود الإصلاح، وهو مشروع ضخم، شيء ضئيلٌ، ولعلّ الأزمة الأخلاقية العاصفة بالكنيسة، بشأن الاعتداءات الجنسية على القاصرين من قِبل رجال الدين، التي انتشر أوارها في شتى أرجاء العالم المسيحي، قد هزّت بعمق كنيسة روما ولم تهدأ، وهي في الواقع قمّة جبل الجليد العائم المعبّرة عن أزمة بنيوية عويصة. يرى سفيدركوتسكي أن - فولكلورية الإصلاح - التي انتهجها فرانسيس، دون الذهاب إلى أصل الداء، لم تقف حائلاً دون تراجع مصداقية الكنيسة في أعين الأتباع. فليس تغيير مؤسسة بحجم كنيسة روما رهْن فرد، مهْما علا شأنه، ومهْما ابتدع من أساليب في مخاطبة الناس بمنسكه ومسلكه وملبسه، فحاضرة الفاتيكان من ورائها جيش فعلي من العاملين والمتعاونين في شتى المجالات الدبلوماسية والمالية والإعلامية، واللوبيات المتنفذة والقوى المؤثرة الصانعة للرأي العام. وهي وبإيجاز، تملك كل الجيوش إلا جيش القوة العسكرية الجارحة.

وكما يلخّص سفيدركوتسكي شخصيةَ البابا -بالمؤكد فرانسيس شخصية كاريزمية وثورية. استطاع إنشاء شكل جديد في عيش الإيمان المسيحي. وخاضَ إصلاحا على مستوى السلوك الشخصي والعقلية والعلاقات مع الناس وتغيير القلوب. ووعدَ بتغيير في الحياة الراعوية... ولكن السؤال المطروح يبقى لماذا أثار عاصفةً من الجدل والنقاشات حتى غدا عنصر فُرقة داخل الأوساط الكاثوليكية؟ بلغت حدّ اتهامه بالهرطقة- في إشارة إلى الرسالة الموقّعة من قِبل ٦٢ دارسا ولاهوتيا، ضمن محاولة سحب المشروعية من البابا، وهي سابقة خطيرة في تاريخ الكنيسة لم تشهدها منذ قرون.

يحاول المؤلّف في قسم آخر من الكتاب تناولَ جدلية المؤسسة والفرد ضمن الإطار الفاتيكاني، قائلا: لم يشفع لفرانسيس مسلكه المتواضع، وهو يغسل ويقبّل داخل أحد سجون روما أقدامَ مساجين وسجينات من بينهم مرأة مسلمة، ضمن مشهد درامي محبوك بعناية، أو وهو يلقي بباقة زهور في بحر جزيرة لمبيدوزا ترحّما على أرواح الغرقى من المهاجرين غير الشرعيين، أو كذلك معارضته عرضَ المباركة اللاهوتية للبيع في السوق الجيوسياسية، في إشارة إلى زيارة الرئيس الأمريكي رونالد ترامب الفاتيكان، بحثا عن تزكية توجّهه أكان في سياسته مع الأجانب أو في مواقفه المتشنّجة في مسرح السياسة الدولية. رغم كلّ ذلك انهالت على فرانسيس الانتقادات من كل صوب، من داخل الكنيسة وخارجها، وهو السلطة العليا على الضمائر وظلّ الله على الأرض في التصور الكاثوليكي. ففترة فرانسيس تشهد تشكيكًا في عصمة البابا بما ليس له نظير في العصر الحديث، فقد أضرّ الرجل بالكنيسة، بحسب البعض، بما يفوق ما أتاه من مسلك متواضع مؤثر.

يُلحّ المؤلف سفيدركوتسكي على إبراز أن سياسة الكنيسة تصنعها المؤسسة ولا يصنعها الأفراد مَهْما علا شأنهم، وهو الدرس العميق الذي لم يفقهه فرانسيس حدّ الساعة. ففي هذه النقطة يتلخّص جوهر الخلاف بين فرانسيس والمؤسسة، وهي النقطة التي جعلت البابا مدعاة للفُرقة كما يعنون المؤلّف كتابَه.

وبرغم الضجيج الهائل في حقبة فرانسيس حول الشأن الكنسي، ثمة قضايا كبرى بقيت على حالها: منها الشخصَنة المفرطة للكرادلة، وصراعات النفوذ داخل الكوريا رومانا (الجهاز السلطوي الرئيس)، والفضائح المالية التي جعلت من حاضرة الفاتيكان تُصنَّف بالملاذ الآمن لتبييض الأموال والتهرب الضريبي، وفاتيليكس، وحوادث الاعتداء الجنسي على القُصّر من قِبل رجال الدين.

لا يغفل سفيدركوتسكي عن ذكر أن البابا يلقى آذانا صاغية في أوساط شرائح معينة من الناس، مثل العلمانيين (في مقابل من ليسوا من رجال الدين)، والغنوصيين، وفي أرجاء بعيدة خصوصا في جنوب العالم لا في المركز في الغرب. فخطاب فرانسيس خطابٌ مباشر، متميز بشحنة حماسية

عالية ومنشغل حدّ الهوس بالفقراء والمشرَّدين والمهمَّشين. ذلك النجاح النسبي للبابا دفع العديدَ من الأوساط المناوئة إلى انتقاده بوصفه مروِّجا «لفولكلور أمريكا اللاتينية» في الغرب، وأحيانا اتهامه بالشعبوية والانزياح إلى الصفّ اليساري في معالجة القضايا الاجتماعية والاقتصادية، وهو خطابٌ يذكّر كنيسة روما بطروحات لاهوت التحرر الممقوتة. والواقع أن الوسط الاجتماعي الأمريكي اللاتيني الذي نشأ فيه البابا يملي عليه النظر إلى واقع الكنيسة ورسالتها من منظور مغاير للمنظور الغربي. فقد عانت أمريكا اللاتينية طويلا ولا زالت من أوضاع الظلم والحيف. خلّفت في العديد من المناسبات ضحايا في صفوف الكنيسة على غرار اغتيال المونسنيور أوسكار آنولفو روميرو رئيس أساقفة سان سالفادور وهو يقيم القداس داخل الكنيسة، وسقط الراهب الأرجنتيني أنريك أنجيليللي صريعا أيضا في عملية مدبَّرة، واغتيل الراهب إغناسيو إلاكوريا رفقة خمسة من أساتذة جامعة أمريكا الوسطى. كما دفعت تلك الأوضاع بالمثل إلى انتهاج خيارات ثورية انخرط فيها رجال دين، لعلّ أشهرهم الراهب وعالم الاجتماع الكولومبي كاميلو تورّيس ريستريبو، سنة ١٩٦٥، وانتمائه إلى صفوف «جيش التحرير الوطني» (ELN) ذي التوجهات الماوية، إلى حين استشهاده في فبراير من العام اللاحق. مثّل ذلك عنواناً لما يعتري كنيسة أمريكا اللاتينية من تحولات، بظهور خطاب تحريري، بالمعنى الاجتماعي، لصيق بقضايا المهمَّشين، ومفعَم بالدلالات اللاهوتية. لذلك ما كان عسيرا على «لاهوت التحرر» تحوير مفهوميْ الخلاص والخطيئة وإعطائهما دلالات واقعية اجتماعية جنب تلك الدلالات الغيبية، ليغدو التحرر من الخطيئة بمفهومه الديني يوازي التحرر من الظلم والتخلف، ويرتقي بالرأسمالية إلى مصاف الخطيئة البنيوية.

تكشف مواقفُ البابا فرانسيس ومعارضتها الجامحة حدّةَ المركزية الأوروبية، كما يبيّن الكاتب (ص: ٥٢)، التي ما انفكت متحكّمة بالقرار داخل الكنيسة الكاثوليكية، حيث تتواصل كما يقول سفيدركوتسكي هيمنةُ تفوّق «اللوغوس» الغربي، بوصفه المخوَّل الأوحد بتأويل الرسالة المسيحية. مع انتشار خشية من كنيسة هامشية، كنيسة أمريكا اللاتينية التي انحدر منها البابا، والتي كانت إلى سنوات قليلة حقلَ «أنْجَلة» وتبشير من الغربيين، أن تتحكّم بطريقة عكسية في المركز الذي أنشأها، مع أن الواقع المسيحي ككلّ يشهد تحولات ديمغرافية عميقة في ما يخص تطور أعداد المنتمين للكنيسة من عالم الجنوب وانحسار داخل الفضاءات المسيحية الغربية التقليدية، سواء على نطاق عامة الأتباع أو الكوادر الكَنَسية.

يخصص سفيدركوتسكي محورا خاصا لأشرس حملة استهدفت البابا فرانسيس، مع ما حصل في الرابع

والعشرين من سبتمبر من العام الماضي بالتنسيق بين أوساط أوروبية وأمريكية بإصدار وثيقة ضمت ٢٥ صفحة بعنوان: «تصويبات بخصوص إشاعة الهرطقة» استهدفت البابا أساسا. كانت الوثيقة موقّعةً من قِبل ٦٢ شخصية كنَسية وغير كنَسية من بينهم رجال دين متنفذين على غرار برنار فيلاي المسؤول الأول في تنظيم الأُخوة الرهبانية سان بيوس العاشر، التنظيم التابع للمونسنيور لوفابر المعروف بمواقفه المتشددة لتوجه الكنيسة اللاهوتي، وشخصيات مكلفة بالشأن المالي التابع لحاضرة الفاتيكان مثل إتور غوطي تيديسكي المدير السابق «للإيور» (بما يعادل وزارة المالية) في حاضرة الفاتيكان. تضمّنت الوثيقة المذكورة إدانة صريحة -إن البابا فرانسيس قد أثار بلبلة داخل الكنيسة وفي العالم في مجالي الإيمان والأخلاق، بما أصدره من -إرشاد رسولي- متمثل في -أموريس لايتيتيا"، وهي رسالة بابوية أعرب فيها البابا عن انفتاح تجاه قضايا المطلَّقين بقصد دمجهم مجددا في الجسد المسيحي، لقيت الرسالة معارضة شديدة. واعتَبرت وثيقة الانتقاد فرانسيس نصيرا لتوجه خطير داخل الأوساط المسيحية يحرّض على الفتنة والهرطقة (ص: ٦٧).

في الواقع مثّلت محاولات فرانسيس لتطهير الكنيسة من المتنفّذين مثل الكردينال جيرار مولر المكلف الأسبق بـ«مجلس مراقبة عقيدة إيمان-، وهو بمثابة المحكمة الدستورية العليا، خطوةً جريئةً خلّفت تداعيات على توازن القوى، فقد اعتبر البعض عزل مولر مهينًا وفجًّا، حصل بعد لقاء مع البابا حاججه أثناءه بقول فصل: «بلغني اتخاذك موقفا معاديا لشخصي ولهذا سأعزلك».

لقد سبق لفرانسيس أن شكّل «مجلس حكماء» متكوّنا من تسعة وجوه كَنَسية معروفة أغلبهم من جنوب العالم، بقصد تحجيم النفوذ الغربي داخل الكنيسة ولإتمام ما يصبو إليه، لكن ذلك المجلس بقي مشلولا ولم يتعدَّ دور الهيئة الاستشارية. ربما الشيء الأبرز الذي تحقّق في عهد البابا فرانسيس وهو إنشاء ثلاث هيئات كُلّفت بالرقابة المالية استطاعت أن تحقّق نجاحا نسبيا في السنوات الأخيرة: في الثامن والعشرين من يونيو ٢٠١٣ تم إيقاف المونسنيور نونسيو سكارانو، وفي الثاني من ديسمبر ٢٠١٥ تم إيقاف المدعوَيْن لوشيو أنجيل بالدا وفرانشيسكا شوقي المتّهمين باختلاس وثائق على صلة بالشأن المالي، وفي السابع والعشرين من نوفمبر ٢٠١٧ تم تسريح جوليو ماتييتي المدير المساعد لمؤسسة «الإيور» (ص: ٧٣).

يبقى التحدي الأكبر للبابا فرانسيس متلخّصا في العجز حدّ الراهن عن وقف نزيف تآكل رأس مال الكنيسة الخُلقي في أوساط الناس، بسبب قضايا الاعتداءات الجنسية المتعددة على القاصرين. تفاقمت الأوضاع بأن طالبت أصوات بحجم رئيس الأساقفة كارلو ماريا فيغانو، القاصد الرسولي (السفير البابوي) في الولايات المتحدة، باستقالة البابا فرانسيس بذريعة تستّره على كرادلة مورَّطين في الفضائح الجنسية من بينهم الكردينال تيودور ماكاريك.

الآن كما يقول سفيدركوتسكي بدأ البابا فرانسيس يعي أسباب استقالة البابا راتسينغر الحقيقية، فكما تُلخّص تلك القولة الساخرة الأمر: «أن يتولى شخص بمفرده شأن الإصلاحات داخل الكنيسة، كمن ينظّف تمثال أبي الهول بفرشاة أسنان». يلخّص سفيدركوتسكي في خاتمة الكتاب ما تبقّى بحوزة فرانسيس من مناورة بقوله: لا يلحظ مراقبُ الكنيسة من خارج إصلاحات فعلية كبرى مسّت مؤسسة الكنيسة خلال سنوات بابوية فرانسيس، رغم الضجيج الهائل في وسائل الإعلام. صحيح يخوض البابا ثورةً، لكن هذه الثورة ذاتية ولم تَتَرجم في إنجازات فعلية حد الراهن. ثمة من يرى أن السلاح القوي المتبقي لدى فرانسيس في خوض لعبة استراتيجية داخل الفاتيكان بمنح جناح من يُسمَّون بالعلمانيين دورا فاعلا داخل الكنيسة، والمقصود بالعلمانيين في المدلول الكنسي جيش المتعاونين المدنيين مع الكنيسة في الأجهزة الإدارية وفي سائر الأنشطة عبر العالم، وعدد هؤلاء هائل وحاسم. في الواقع ذلك القرار الغائب من شأنه أن يقلب موازين القوى بشكل جذري داخل الكنيسة وهو ما تخشاه عديد الأطراف.

الكتاب: هل البابا فرانسيس مدعاة للفُرقة؟
تأليف: جان فرانكو سفيدركوتسكي.
الناشر: منشورات روبتّينو (كاتنزارو- إيطاليا) "باللغة الإيطالية".
سنة النشر: ٢٠١٨.
عدد الصفحات: ٤٠اص.

* أستاذ تونسي بجامعة روما

هل يستطيع الفن إنقاذنا؟
سنتياغو زبالا

علي الرواحي *

في كتابه الأخير "هل يستطيع الفن إنقاذنا؟" وعلى مدى ثلاثة فصول متداخلة، يقوم الفيلسوف الإسباني سنتياغو زبالا بطرح أسئلة مختلفة حول الفن وذلك من منطلق العلوم الإنسانية وعلاقتها بالظاهريات والفكر النقدي، مستخدمًا في ذلك مقولة الفيلسوف الألماني مارتن هايدغر» اللّه فقط يستطيع إنقاذنا» والتي قالها في نهاية مشواره الفلسفي حيث نُشرت في صحيفة دير شبيغيل الألمانية بعد وفاته، غير أنَّ اللّه هنا حسب قاموس الفيلسوف هايدغر ليس ذلك المعنى التقليدي والحرفي الذي تم تأويله على هذا الأساس لدى الكثير من المشتغلين بالحقل الفلسفي، بل يعني بذلك كما تناوله هايدغر في عمله المهم «أصل العمل الفني» مفهوما مختلفا .

استخدم مفهوم الخلاص أو الإنقاذ بصيغ مختلفة في الكثير من الأعمال الفلسفية والأدبية التي سبقت عمل زبالا هذا، حيث نجد أن الهرمنيوطيقيا الفوضوية من الممكن أن تنقذنا أو تُخلصنا كما هو عنوان الفيلسوف الإيطالي جاني فاتيمو بالاشتراك مع زبالا في عام ٢٠١١م. منذ فترة طويلة وزبالا بالاشتراك مع فاتيمو يراهنان على الطارئ والمهمش والضعيف ودوره في خلاص العالم وإنقاذه، لذلك يأتي هذا العمل كتأكيد على هذا المسار وتأصيل له، بالعودة للكثير من المصادر الفلسفية المختلفة والتي تحضر بعضها كما هو حال هايدغر بشكل مركزي ومكثف ومحوري، وربما توجيهي إلى درجة كبيرة، ليس بدءًا بالعنوان فقط، بل كذلك بطريقة المعالجة وجعل الفن المحور الرئيسي، كما نجد أن هناك الكثير من الأسماء الفلسفية الراهنة تحضر بقوة في هذا العمل كما هو الحال لدى آرثر دناتو، جاك رانسيير، ومايكل كيلي، وغيرهم.

ثمة فرق مفاهيمي أساسي يسعى زبالا للتفريق بينهما في بداية هذا العمل، وهو تفريق مركزي، يؤثر في الفهم، وبالتالي في عدة التأويل الممكنة، وهما: غياب الطارئ، والدولة الطارئة، حيث أن المفهوم الأول يحيل إلى مسار فلسفي هايدغري بامتياز وهو مغاير للآخر، في حين أن المفهوم الثاني يندرج في مسار فالتر بنيامين، كارل شميدت، وجورجيو اجامبن. ففي الجانب الأول لا يحيل المفهوم الهايدغري إلى «السيادة المعلقة في الحالات الاستثنائية»، بل يحيل إلى «تعليق الوجود» الذي يتضمن أيضا تعليق القرار من قبل المُشرع.

في الفصل الأول والمعنون بالجماليات الطارئة أو الجمال الطارئ (ص١٣)، يتساءل زبالا مُملا بذلك تساؤل هايدغر حول «هل ما يزال الفن جوهريا وضروريا لمعرفة كيف حدثت الحقيقة في تاريخنا الوجودي أو غير ممكنة التحقق عن طريق الفن؟» وهو في ذلك يواصل طرح ذلك السؤال الذي طرحه سابقا الفيلسوف الألماني هيجل، والذي عن طريقه من الممكن أن يصبح الفن منفصلا عن الجماليات والثقافة بالمعنى الكبير للمفردة. ولكن، ألا يُفترض بالثقافة أن تدعم الفن لتطوير الكثير من الفرص في هذا المجال؟ كما يتساءل زبالا مواصلا بذلك طريق هايدغر، الذي يذهب إلى أنه من الضروري أن يتسم الفن بـ «ثقافة سياسية»، وأن ينفصل الفن من تعبيراته الجمالية فقط، إلى اتخاذه موقفا انطولوجيا من العالم، بكل ما فيه من قضايا وتساؤلات مختلفة.

في هذا السياق يطرح المؤلف سؤالا حول إمكانية قياس التأمل أو التفكير، ذلك أنه وانطلاقا من هايدغر، وبسبب تداخل الفلسفات فإن الفن والمنطق والمعرفة وغيرها، تُنتج الحقيقة بطرق مختلفة، وتطرح تساؤلات حول الخير والجمال والأخلاق وغيرها، وذلك يعود بسبب التداخل بين الذات والموضوع، حيث تم اختزال العالم في الصورة الإعلامية أو تلك التي يتم عن طريقها تخليد الكثير من الأحداث والمواقف البشرية. فالفن بالمعنى الواسع للكلمة، بما فيها الصورة، والأغنية، التي لا تختلف من حيث الطبيعة في العالم، غير أنها تختلف من ناحية الاستخدام التجاري للسلعة، أو البناء التاريخي، فهذا الاختلاف ليس من ناحية العمق، أو الاهتمام، أو الدرجة، فهي من الممكن ان تُعبر عن الحقيقة، لكنها لا تمتلك القوة كما هو الوضع في صورة العمل الفني، وهو ما نجده واضحا في صورة «مشروع رواندا» أو صورة « قصص الجنود من العراق وأفغانستان»، فالفن الجيد أو المتميز من الممكن أن يكشف لنا عن الوضع الطارئ الذي نعيشه، أو يساعدنا على التعامل معه من الناحية الواقعية أو النظرية.

ينقسم الجزء الثاني من هذا العمل، لأربعة أقسام من ضمنها: التناقض الاجتماعي المعاصر، كالمدينة أو الحضر، ونداء البيئة، حيث أدت لظهور اثني عشر عملا فنيا، فهذه الأعمال المختلفة، والتي تفاوتت طبيعتها، حسب كل عمل على حدة للاهتمام بقضايا مختلفة، ومتفاوتة، كالذوبان الجليدي، وتلوث المحيطات، والأشجار، والتي كانت دافعا للاهتمام بالبيئة، والاحتباس الحراري، والتصحر وغيرها من القضايا المختلفة، ذلك أن هذه المسائل قد حدثت بسبب «التناقض الاجتماعي» والذي تولد عن طريق السياسة، والتمويل المالي، والاطار التكنولوجي الذي يحتوي الإنسان ويسيطر عليه، حيث تجسد في مساكن الصفيح، والمشردين، وتأثير البلاستيك، وغيرها من المنتجات. إذا كانت مهمة الفن الأساسية تتعدى الجانب الجمالي لتصل إلى اتخاذ موقف سياسي، أو وجودي من الحياة، فإن الفنان المبدع هو الذي يقوم بهذه المهمة، لأن المقاومة بكل معانيها السلمية، والوجودية المختلفة تقع على عاتقه، بالرغم من المواقف المتراجعة التي اتخذها بعض المبدعين والمثقفين تجاه الكثير من القضايا العامة وغيرها، إلا أن هذا التراجع « حسب هايدغر » لا يعني فشل الموسيقيين، والكُتّاب، والرسامين، بل يعني بالعكس من ذلك أن أعمالهم قد نجحت بشكل غير مسبوق.

غير أن السؤال هنا: من هؤلاء المبدعون؟ وكيف نجحوا في الكشف عن الوجود بهذه الطريقة الجديدة والمبتكرة، كما هو الحال في الأعمال الفنية؟

والإجابة هي أنهم أولئك الذين تراجعوا من الموقف اللامبالي أو غير المكترث تجاه الثقافة السياسية، باتجاه الكشف عن المتبقي من الوجود كل حسب طريقته، وأسلوبه، وتحديدا من خلال الفن أو الأسلوب الفني، وهذا ما جعل هايدغر يقوم بتفريق مفاهيمي جذري بين «اللذين ينقذوننا من الطارئ» أو «يضعوننا في الطارئ» (ص٢٦)، لذلك فإن هذه الأعمال الفنية لا تندرج في خانة الأعمال الحرفية، أو المشغولات، أو المنتجات، بل في تلك الأعمال الوجودية التي تهدف للقبض على المتبقي من الوجود، وكشفه بطريقة أخرى، مختلفة، بطريقة فنية، مبتكرة، مكتنزة بالرؤى الإبداعية، والمواقف السياسية، وهو ما يجعل هذه الأعمال في صراع ضد التضحية ليس بالواقع الثقافي، بل التوجهات الوجودية، الباحثة عن الحقيقة الوجودية المخفية. حيث أنها لا تخضع، أو لا تبحث عن رضى المنظمات أو الشركات التكنولوجية، بل ترمينا أو تدفعنا أو توجهنا إلى هذه الحقائق من خلال التعبير عن التناقضات الاجتماعية التي نعيشها بشكل مستمر، والتي تتجسد في الموقف من البيئة، والمدينة، وهو ما يتطلب «موقفا وجوديا مختلفا» كما قال هايدغر، من هؤلاء المبدعين والفنانين، وذلك ليس من خلال التجربة المتولدة عن الخبرة لهم، بل من خلال المفاهيم، والتأويل المغاير الذي يتم اتباعه من قبلهم. حيث إن هذه البدائل من الممكن أن تتولد أو يتم الكشف عنها عن طريق الأدب، أو المسرح أو الفن.

في هذا السياق، تكشف الكثير من الأعمال الفنية عن مقاومتها للعولمة، ورغبة مبدعيها في ألا تشمل الجانب الجمالي فقط، بل

أيضاً كما قال آرثر داناتو، تشمل عولمة الأعمال الأدبية تعني بأن يعبّر الفن عن إنسانيتنا، حيث من الممكن أن تتحول هذه الأعمال لكشف عن الحقيقة وبشكل خاص لأولئك الرجال والنساء الذين يبحثون عن معنى في هذه الأعمال.(ص٢٨)، غير أن هذا القول ليس صحيحاً بإطلاق، فنحن نعيش في عصر « مالية الأعمال الفنية» أي تلك القائمة على التمويل المالي، الممولة من الشركات التكنولوجية، الأمر الذي يفقدها وظيفتها النقدية، وينهي تعزيزها للأنظمة والبنى التي يجب مساءلتها، أو نقدها.

في العمل الأول المختار في هذا الكتاب (ص٢٩)، يتحدث زبالا عن التناقض الاجتماعي، أو «التناقض الأقصى» حسب سلافوي جيجك، لأن هذا التناقض يعتبر اليوم كارثة كبيرة، حيث تدافع الكثير من الآليات عن الخطر الحقيقي إذا لم يتم أخذه بعين الاعتبار، وذلك من خلال الأعمال التي يقوم بها بعض الفنانين أمثال: جوتا كاسترو، فيليبو مينيلي، وغيرهم، والتي تُلقي بنا في التناقضات السياسية، المالية، والتقنية، تلك التي تؤطر عالمنا المعاصر؛ إذ أنها لا تهدف إلى كشف تناقضات معينة اعتدنا على تجاهلها، بل لتكشف لنا عن موقف وجودي بديل، يختلف عن السائد والمفروض من قبل الكثير من القوى في العالم الرأسمالي المعاصر، فهناك الكثير من الأعمال الفنية التي اعترضت على غزو العراق، ولم يتم إنتاجها للمتاحف، والمعارض الخاصة، بل أنتجت لفن الشوارع، والإنترنت، والصحف، أي لتلك الوسائل المنتشرة في كل مكان. صورة سلفي مركبة لرئيس الوزراء البريطاني الأسبق توني بلير وخلفه آبار نفط تحترق، استخدمت هذه الصورة من قبل نشطاء المجتمع المدني على المستوى العالمي في عام ٢٠٠٣م وذلك في تظاهرات مناهضة لغزو العراق، والتدخل العسكري في تلك الفترة، ولنقد الادعاءات الرسمية المختلفة لهذا الغزو بسبب النقص الكبير في الأدلة التي كانت هي السبب الرئيسي في هذا الغزو حسب الرواية الرسمية. حيث يتعرض زبالا بنقد عميق لليبرالية وتناقضاتها المختلفة، فهي ليست وجهة نظر سياسية عابرة، بل هي رؤية شاملة للوجود، تقوم على دمج الاقتصاد، السياسة، وحتى العلم، لتشجيع وفرض بعض القيم والمفاهيم بصفتها مبادئ كونية، وعالمية، لا يمكن الاستغناء عنها، حيث عن طريقها تم فرض الديمقراطية، والرأسمالية، ليس بسبب امتيازاتهما ومنافعهما الكثيرة، بل بسبب أن هذا النظام يمتلك المقدرة على تطوير هذه الرؤى، وترسيخها بشكل مستمر، ويبدو أنه أبدي.

ولشرح هذه الإشكالية يستعين زبالا بصمويل هنتنغتون في كتابه الشهير «صدام الحضارات» والمنشور في عام ١٩٩٦م، حيث يقول» إذا كانت المجتمعات غير الغربية ترغب في التشكل بالثقافة الغربية، فإن ذلك سيحدث كنتيجة للتوسع، والتنمية. فالإمبريالية تعتبر كنتيجة منطقية لتبعات العالمية، لأن هذه الأخيرة خطيرة على العالم غير الغربي فمن الممكن أن تؤدي إلى حرب بين الحضارات، كما أنها في المقابل خطيرة على الغرب حيث من الممكن أن تتسبب بهزيمته». بالإضافة لذلك يستعين زبالا لتأكيد وجهة النظر هذه بفيلسوف القانون الإيطالي دانيلو زولو، حيث يؤكد زولو بأن الغرب قد بدأ بجعل هذه القيم محايدة، وذلك من خلال جعل الدفاع عن النفس بوصفه عملا

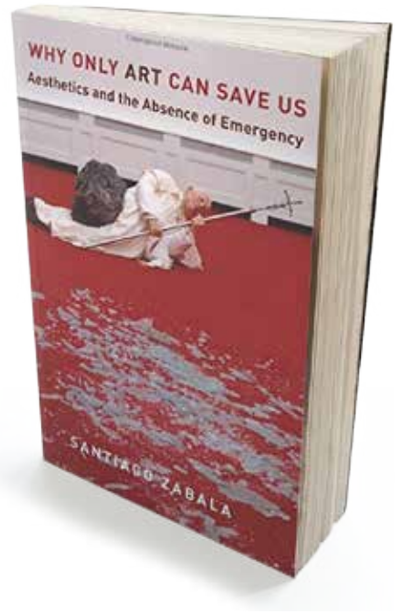

إرهابياً كما هي المادة ٥١ في ميثاق الأمم المتحدة. ففي المحصلة، نجد أن هذه القيم امبريالية في العمق، لأنها ولدت من قوى عشوائية، وغير منظمة، فهي بهذا المعنى لا تحترم القيم، والحريات، والثقافات المحلية للمجتمعات.

في العمل الثاني في هذا الكتاب(ص٣٧)، يطرح نمطاً فنياً -كما هو حال كل هذا الكتاب - للمقاومة، وعدم القبول بالأنظمة المفروضة على الإنسان، بما فيها السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية وغيرها، حيث تظهر هذه اللوحة للفنان جوتا كاسترو بعنوان الرهن العقاري، والتي هي عبارة عن مشنقة مزخرفة بالدولار، في إشارة واضحة إلى الأزمة التي خلقها الرهن العقاري إبان الأزمة الاقتصادية في عام ٢٠٠٨م. فهذه الأزمة أصبحت بمثابة مشنقة تهلك المواطنين المتأثرين بها. هناك الكثير من الأشياء التي لا تظهر في هذه اللوحة - حسب زبالا-أو غير مرئية، كسقف المشنقة، ومالك المنزل، حيث من الممكن توقع أن هذا السقف يشير إلى مُلاّك هذه المنازل، وهنا لا تقتصر فقط على الأشخاص، بل يتم إحالتها في الكثير من الأحيان للمؤسسات الرسمية والحكومية وتشريعاتها وقوانينها المجحفة في حقهم. فهذه الأزمة لا تعتبر مفاجئة بهذا المعنى، بل هي متوقعة، فهي تعتبر امتداداً للرغبة العميقة بحفظ النظام المالي الحالي مهما كان هذا الثمن الذي يدفعه المواطنون.

في هذا السياق، يعود زبالا لتحليلات الاقتصادي الفرنسي الشهير توماس بيكيتي (ص٣٨)، وذلك في كتابه «رأسمال في القرن الحادي والعشرين»، من حيث أن هذه الأزمة لم تطح بالوضع الاقتصادي المتأجج والمستشري كالنار في الهشيم، إلى تلك الحماية التي قدمها البنك المركزي والحكومة لإنقاذ البنوك، مخافة سقوط النظام الاقتصادي وتداعيه، لأنها حسب بيكيتي ليست الأخيرة في هذه السلسلة مع بقاء واستمرار «الرأسمالية المتوارثة المعولمة» التي يتم حمايتها من قبل الكثير من الأنظمة السياسية. فهذه الازمة المالية التي حدثت في ٢٠٠٨م، لم تحدث فقط حسب الكثير من التحليلات، بسبب «الظلال البنكية» أو «فقاعة الانترنت» في ٢٠٠١م، أو بسبب التكلفة الباهظة للغزو الأمريكي للعراق، بل بسبب ارتفاع الفائدة التنافسية والتراكمية، التي وبشكل شبه حتمي أو لا مفر منه، وضعت قيمة المال قبل استخدامه ومنفعته، والربح قبل الإنسان.

في العمل الثالث(ص٤٣) يسلط الكاتب الضوء على جانب آخر من هذه الأزمة التي يعيشها الفرد في القرية العالمية، وذلك عن طريق لوحة فنية للفنان الإيطالي الشاب فيليبو منيلي، المعنونة ب»تناقض»، والتي تظهر عددا كبيرا من دجاج التركي محصورا في مكان مغلق وفي الخلف مكتوب بالخط العريض وباللغة الإنجليزية «تويتر». ففي هذه المرة يرمينا منيلي في التناقض التكنولوجي في عصرنا الحالي كما يقول زبالا، وذلك في إشارة واضحة إلى أن وسائل التواصل الاجتماعي مثل تويتر، وفيسبوك، وانستغرام، وفليكر وغيرها من البرامج المختلفة، تمسح الهويات الفردية، والاختلافات الطبيعية بين البشر، كما أنها تدعي الحياد والشفافية تجاه الجميع في حين أنها ليست كذلك. ولفهم ذلك بصورة أكبر، وأوضح، يقول زبالا، بأنه ينبغي العودة لتأسيس هذه الشبكات والتي ابتدأت بنسخ وميزات مختلفة، لأنها لم تبدأ من أجل البشر، أو الديمقراطية، كما تبدو الآن، بل من أجل ربط الحواسيب ببعضها البعض، لتناقل وتداول المعلومات والبيانات، وهو ما جعل تيم برنارد لي مخترع الشبكة العالمية يتحدث عن أن الشبكة عبارة عن «مساحة من الرطانة» أو الحديث، لأن هذه الوظيفة التفاعلية بين البشر وفيما بينهم تعتبر المهمة الأساسية للشبكة.

في الختام، نستطيع القول إن ما يطرحه هذا العمل، بمعانٍ كثيرة، وبصيغ مختلفة، هو أن المقاومة ليست عسكرية فقط، أو نضالية بالمعنى القديم، بل من الممكن أن تتخذ الكثير من الصيغ المتفاوتة، والتي يأتي الفن بأشكاله المختلفة كالنحت والرسم الفني على رأسها لأنها بإمكانها أن تصل لأعداد كبيرة من المشاهدين، والمتفرجين، عن طريق عرضها في الساحات العامة، والمعارض، والشوارع وغيرها من الطرق المختلفة. بالإضافة لذلك، نجد أن هذا العمل ينخرط وبشكل كبير في الصراع السياسي، والأنواع الكبيرة للمقاومة التي من الممكن أن يقوم بها الفنان، فهذه الاعمال ذات مواقف وجودية جذرية، تجاه السياسة، والاقتصاد، والاجتماع، بل ولكل المواقف الحياتية المختلفة.

أخيراً، فإن الفن وتحديداً مع مارتين هايدغر في كتابه «أصل العمل الفني» قد حرر الفن من الصيغة الجمالية التقليدية ، والملصقة به لفترات زمنية طويلة، ليصبح الجمال بذلك تعبيراً وجودياً بشرياً، كما أنه قد تحول إلى مُنتج للعالم، وللمواقف الملتزمة بقضاياه المصيرية، والوجودية المختلفة.

الكتاب : هل يستطيع الفن إنقاذنا؟
المؤلف : سنتياغو زبالا
الناشر: 2017 Columbia University Press – New York
عدد الصفحات : ١٩٨
لغة الكتاب: الإنجليزية

*** كاتب عماني**

آليات المشاعر: الدماغ والسلوك والمجتمع
آلن إهرنبرغ

سعيد بوكرامي *

اكتسبت العلوم الجديدة حول السلوك البشري زخما وإثارة منذ أوائل التسعينيات نظراً لما حققه علم الأعصاب الإدراكي من إنجازات باهرة. كان طموح العلماء أن يجعلوا من استكشاف الدماغ وسيلة لعلاج الاضطرابات النفسية (مثل الاكتئاب أو الفصام...) ولكن أيضاً لمُعالجة العديد من المشاكل الاجتماعية والتعليمية، مثل التعلم أو التحكم في الانفعالات. هل معنى هذا أن هذه العلوم أصبحت مقياسا لسلوكنا وحياتنا، فأخذت المكان الذي احتله سابقا التحليل النفسي؟ هل الإنسان «العصبي» هو الآن بصدد احتلال مكانة الإنسان «الاجتماعي»؟ يظهر الباحث آلن إهرنبيرغ من خلال كتابه الحديث» آليات المشاعر: الدماغ والسلوك والمجتمع».

أنَّ السلطة المعنوية المكتسبة من خلال علم الأعصاب المعرفي تعود بالدرجة الأولى إلى النتائج العلمية أو الطبية الكبيرة أكثر منها إلى مثالية التصور الاجتماعي. إن وجود قدرة الفرد على تحويل المعوقات إلى قيمة مضافة هي في الأصل طريقة لاستغلال «الطاقات الكامنة» لأنه مع تطور علم الأعصاب، أصبح التعرف على الفرد من خلال دماغه وبالتالي سيكون هذا الشخص قادراً، كما يقول عالم الاجتماع ألن إهرنبيرغ، على»تحويل معوقاته إلى امتياز عبر ابتكارات تزيد من قيمته كشخص». هذه الصورة هي نتيجة طبيعية «مثالية للإمكانات الخفية». يتناول المؤلف مرض التوحد الذي يجب أن نفكر فيه أولاً كعبقرية محتملة قبل أن نفكر فيه كمرض أو إعاقة.

يتساءل المؤلف، من أين يأتي نجاح هذا «الرجل العصبي؟» ويربطه بالتقاليد الليبرالية في عصر التنوير، وخاصةً التقاليد الأسكتلندية، التي تجعل من الاستقلالية والمبادرة الفردية النموذج الذي يجب تحقيقه لأي فرد يسعى للتخلص من الاستبداد والرقي. ويستحضر في السياق ذاته المذهبين التجريبيين لديفيد هيوم أو آدم سميث اللذين ركزا على الجانب الأخلاقي، والأسباب وراء العواطف البشرية، التي تجعل من ديناميتها، ولا سيما عن طريق الاعتراف بالآخر والتعاطف معه، ركائز لثورة الأمم وميثاقا لتأسيس المجتمع. إذا كان حصر الإنسان في عواطفه هو شكل من أشكال النزعة الطبيعية، فقد ترجمت لدى الإنسان في القرن الحادي والعشرين بحصرها في دماغه. الآن و»لولا الدعم من دماغه، لما تمكن الفرد على استكشاف إمكانياته العديدة، لهذا يجب عليه أن يقوم بذلك» هذه هي الحتمية الجلية الخفية لعلم الأعصاب التي يكشفها إهرنبرغ دون أن ينتقدها حقًا.

بعد أن اهتم في أعماله الأولى بالتحولات الاجتماعية الناجمة عن الدعوة إلى الاستقلالية في المجتمعات الحديثة، حوّل عالم الاجتماع آلان إهرنبرغ دفّة اهتمامه إلى الطريقة التي تم بها التفكير في الصحة العقلية ومعالجتها أثناء انتقال المجتمعات التي تحكمها معايير جماعية قوية لأنظمة تتمتع بحرية فردية كبيرة. لهذا وجدناه في كتابه الجديد، يواصل تأمله مركزا هذه المرة على التطور الأخير (منذ أواخر السبعينيات) لعلم الأعصاب الإدراكي، المرتبط بالتقدم في التصوير الطبي وعلم الأحياء العصبي، ومفهوم الصحة العقلية التي تحث عليها هذه العلوم في مجتمعنا. لهذا يدعم تحليله بقراءة نقدية للكتابات والتدخلات العامة لعلماء الأعصاب الرئيسيين.

وحسب آلن إهرنبرغ، فإنَّ طموح البحث البيولوجي العصبي يكمن في إظهار المؤشرات الجسدية في الفكر والعواطف وفي النهاية السلوك البشري في الدماغ. وهكذا، يحاول هذا البحث ربط الاضطرابات العقلية باضطرابات دماغية ملحوظة (بدلاً من صراعات نفسية مرتبطة بديناميا نفسية لكل شخص). هذا التغيير في المنظور يتمظهر بشكل خاص في الفهم الحالي لمرض التوحد، فمنذ التخلي عن التفسيرات التحليلنفسية، أصبحت المقاربة الجديدة تفترض أنه عندما يتم تدمير مناطق معينة من الدماغ، أو عندما تكون الروابط بين مناطق الدماغ المختلفة معيبة خلقياً، يمكن أن تبرز الأمراض والسلوكات غير المتكيّفة. بالنسبة إلى ألن إهرنبرغ، فإن هذا المفهوم للصحة العقلية يُشكل علامة فارقة هامة: نحن ننتقل إلى مقاربة من حيث المتلازمات، أي مجموعة من الأعراض إلى مجموعات مستقرة ومتماسكة نسبياً، وبذلك نصل إلى تحليل مبنيّ على أساس المقارنة بين الأدمغة السليمة والأدمغة المريضة.

مع مفهوم «المرونة الدماغية»، يذكرنا إهرنبرغ، بالبحوث التي طورت الفكرة نفسها أن ضعفا أو خللا في الدماغ يمكن أن يقابله تعبئة وتطوير الدوائر العصبية الأخرى، وتفعيل مناطق أخرى من الدماغ. وهكذا يمكن لتقنيات التعلم المناسبة أن تقود المرضى إلى التغلب على مشاكلهم لجعلها نقاط قوة و مؤهلات للنجاح، للانتقال من وضع المعاقين إلى وضع «شخص قادر بشكل مختلف»، وبالتالي إعادة تأهيل المريض. يورد آلن إهرنبرغ في هذا السياق حالة التوحد «رفيع المستوى»، والتي، من خلال العلاج السلوكي المعرفي، والأخذ بعين الاعتبار مصادر قوتهم (على التركيز) ومكامن ضعفهم (الخوف من التغيير أو العلاقات الاجتماعية) يمكن أن يحقق المتوحدون مستقبلا زاهرا.

وإذا كانت فكرة «المرونة الدماغية» قد تبدو جذابة لعلماء الاجتماع لأن من شأنها أن تفسر كيف أن تجربة وتاريخ الأشخاص تعود بالأساس إلى وظائف الدماغ وبالتالي إلى المجتمع في نهاية المطاف. ويعتقد إهرنبرغ أن هذا استخدام مختلف معد من قبل علماء الأعصاب والمستخدمين لأعمالهم، عن طريق إرجاع السلوك الاجتماعي والخيارات الفردية إلى ذبذبات دماغية، وهي فكرة عالم الاجتماع أيضا التي يلتقي فيها مع عالم الأعصاب الشهير مونتكاستل الذي يقول: «لا وجود لدماغين متشابهين.» ص ١٤٥. و لذلك فإن السلوكات سواء كانت مرضية أم لا، فهي بالضرورة فريدة من نوعها وشخصية، ولا يمكن تفسيرها اجتماعيا بواسطة الآليات الجماعية أو الانتماء إلى فئة اجتماعية معينة. إن الكشف المبكر

عن التشوهات بواسطة المعلوماتية الطبية والمعالجة المتطورة عبر قواعد البيانات الكبيرة، ينبغي أن يسمح مستقبلا بعزل الأفراد «في وضعية خطرة» لإبعادهم عن الوضعيات الصعبة أو الوظائف الشاقة (على سبيل المثال الوظائف المجهدة بدنيا ونفسيا) والتعامل معها على وجه السرعة كنوع من الأمراض المحتملة التي تستلزم العلاج المبكر.

وبالإضافة إلى ذلك، فإن الافتراض الضمني للعديد من علماء الفيسيولوجيا العصبية كل شيء يحدث للإنسان مصدره الدماغ، ولكن العمل الشخصي يمكن أن يساعد على تصحيح المشاكل التي تحدث أو التغلب عليها، من خلال تعزيز العلاج السلوكي المعرفي. في الواقع، تستند هذه العلاجات على فكرة أن تعلم الاستجابات السلوكية الجديدة والمتغيرة يمكن أن يعالج الاضطرابات ويساعد على التغلب على الصعوبات التي تواجه الفرد، دون اضطراره لتغيير بيئته أو علاقاته الاجتماعية. هذا هو السبب في أن السلطة الأخلاقية والعلمية للفسيولوجيا العصبية للدماغ سوف تتعزز بشكل كبير في المجتمع الذي يفسح المجال للاستقلالية الذاتية وتكيف الفرد، والقدرة الشخصية على المبادرة، لتجد مكانها في المنظمات الاجتماعية المعقدة ذات القيم المتطورة. يستشهد المؤلف في استنتاجه، باستعادة مفاهيم علم الأعصاب في علم الاجتماع - على سبيل المثال، يعتمد على عمل أنطونيو داماسيو لدعم تحليل السلوك الاجتماعي □ التي تعزز الفردية المنهجية، وبذلك ندرك أن كل الظواهر الاجتماعية التي من شأنها أن تجمع في نهاية المطاف الخيارات والقرارات العقلانية (في الغائية أو القيمة) من الأفراد هي نتيجة سلوكاتهم الفردية.

إن تحليلات آلن إهرنبيرغ - لم نتمكن هنا من الدنو من ثرائها وتنوعها بارتباطها بأعماله السابقة ومرجعيته العلمية الواسعة - لفهم أفضل لتحولات الطب النفسي وقضاياه في دراسة الصحة العقلية. ومع ذلك، فإن أطروحته تساهم في التعزيز المتبادل بين التقدم الذي أحرز مؤخرا للفردانية في مجتمع منفتح وديمقراطي، وتطوير دراسة الدماغ كوسيلة لفهم وتطوير البشرية من جهة، ومن جهة أخرى، يبدو ذلك أكثر تحققا مما هو مبرهن عليه. ولا بد من الإشارة هنا إلى أن المؤلف يميل إلى التقليل من أهمية البحوث التي لا تذهب في هذا الاتجاه الذي يتبناه.

يعيد المؤلف أولاً، مشروع العلماء الذي يهدف إلى جعل التفكير والعواطف عبارة عن ذبذبات أو تفاعلات فسيولوجية إلى أصوله، لأنه أقدم من

الفردانية المعاصرة، بحيث نجد مصدره في المدرسة الميكانيكية لتحليل الأحياء، التي كان رونيه ديكارت (١٥٩٦-١٦٥٠) أحد روّادها. يشرح دي لا ميتري، في عام ١٧٤٧، أنه يمكن دراسة الجسم على أنه «نوابض» وأنه يتمتع بالقدرة على التعافي من تلقاء ذاته. يمكن تعريف الفكر على أنه خاصية فيزيائية كيميائية، مثل الكهرباء. بالنسبة إلى دو بوا ريموند، فإن علم وظائف الأعضاء يتألف من إعادة «المظاهر الطبيعية إلى المبادئ الرياضية للسببية»، وبالتالي عزل جميع دراساته عن العناصر التي لا يمكن رؤيتها أو اختزالها إلى حقائق فيزيائية كيميائية. ومن ثم، حتى في الفترة الأخيرة، لا تعتبر الفردانية والتفكك في العلاقات الاجتماعية ظاهرة متجانسة وعالمية. تستمر العلاقات المجتمعية القائمة على قواعد اجتماعية مشتركة في التعايش مع أشكال أكثر تنافسية وانفتاحية. وهذا يعني أنه ليس من الواضح أن اهتمام وامتداد علم الأعصاب لا يتعلق إلا بهذه الأخيرة. بالإضافة إلى ذلك، يبدو لنا أن جزءًا من الأبحاث الحالية في علم الأعصاب وعلم النفس المعرفي ربما ساهم في التشكيك في فكرة وجود عقل اقتصادي/ اقتصادي عقلاني. وقد سمحت هذه الأبحاث أيضًا لعلم الأحياء بشرح آثار البيئة الاجتماعية، وقد وضح المؤلف أن الأفراد الذين شاركوا في النشاط نفسه لسنوات عديدة (على سبيل المثال، سائق سيارة أجرة أو عازف البيانو) يمكن أن يطوروا وظائف دماغية مماثلة. وكذلك، أظهرت الأبحاث حول «العصبونات المرآوية» أو «تزامنية الأدمغة» أن هذه الظواهر - تمامًا مثل التعاطف - تكون أكثر قوة عندما تشرك الأفراد الذين يشعرون بالقرب من بعضهم البعض ويبنون ثقة متبادلة.

أخيراً، تلعب العواطف بشكل جماعي دورًا قويًا بشكل خاص في تكوين الذاكرة العاطفية، وهو أمر مهم جدًا في عملية اتخاذ القرارات البديهية. لا يعزز علم الأعصاب تلقائيا وجهة النظر الفردية لدماغ يعمل في عزلة. من ناحية أخرى، في مجتمع ليبرالي وفردي مثل الولايات المتحدة مثلا، صحيح أن استخدامات ومحاولات التطبيق العملي لعلم الأعصاب يبدو أنها تسير في هذا الاتجاه الفردي، وغالبًا ما تتجاوز ما يمكن لهذه العلوم أن تثبته في الواقع.

يبدو لنا أن المشكلة الرئيسية والتحدي الذي يطرحه تطبيق علم الفسيولوجيا العصبية على السلوك الاجتماعي ليس من قبل الإمبريالية الانضباطية، التي تهدف إلى حصر دراسة الإنسان في دراسة الأداء الداخلي لوظائفه الدماغية، بدل دراسته كتعارض معرفي ومنهجي بين التخصصات. بالنسبة لعلم الأعصاب، يجب استبعاد أي شكل من أشكال الذاتية من خلال التجارب التي يراقبها المختبر واستخدام أدوات قياس موحدة. من ناحية أخرى، وعلى العكس بالنسبة لعلم الاجتماع، فإن استكمال النتائج المحصل عليها في المختبر أو أثناء التجارب المبسّطة على الحياة الاجتماعية المعقدة المتأصلة في الترابط الواسع لا يمكن أن تؤدي إلا إلى الانحراف والتفسيرات الخاطئة. ولذلك، فانطلاقا من هذه الفجوة، يجب البحث عن العقبات التي تحول دون إنتاج فعال للمعرفة المشتركة بين علوم الحياة والعلوم الاجتماعية.

في الختم لا بد من الإشارة إلى أن آلن إهرنبرغ من ألمع أساتذة علم الاجتماع المعاصرين، يشغل منصب مدير أبحاث فخري في المركز الوطني للبحث العلمي بباريس. من بين أهم مؤلفاته: الكائن المبهم ١٩٩٥ والتعب من الذات - الاكتئاب والمجتمع ١٩٩٨ والأمراض العقلية في تغيير، الطب النفسي في المجتمع ٢٠٠٠ والمجتمع العليل ٢٠١٠.

الكتاب: آليات المشاعر: الدماغ والسلوك والمجتمع
المؤلف: آلن إهرنبرغ
دار النشر: أوديل جاكوب. فرنسا.
سنة النشر: ٢٠١٨
عدد الصفحات: ٣٢٨ص
اللغة: الفرنسية

*** كاتب مغربي**

الاتحاد الأوروبي في عصر الاضطرابات: الاتجاهات والتحديات والتداعيات بالنسبة لإسرائيل

أميرة سامي *

يحلل هذا الكتاب القضايا الملحة التي واجهتها أوروبا في العقد الماضي، وتعرض المقالات الخمسة عشر في هذا المجلد الآثار السياسية والاجتماعية والاقتصادية لهذه القضايا وتوفر نظرة ثاقبة لآثارها.

في عام ٢٠١٧ الذكرى الستين لمعاهدة روما، التي صممت لتحقيق رؤية مجتمع أوروبي موحد، كانت المعاهدة والسوق الأوروبية المشتركة استمراراً لعملية معقدة وربما فريدة من نوعها حيث وافقت الدول المؤسسة والدول التي تمَّ قبولها فيما بعد على التخلي عن رموز السيادة ونقلها إلى المؤسسات الحكومية الدولية الأوروبية. لقد تعاملت الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي مع هذا اليوم بين الرغبة في الحفاظ على تفرد السيادة الوطنية والاعتراف بأنَّ فكرة أوروبا الموحدة قد أعطت أكثر من سبعة عقود من الرخاء والأمن الاقتصادي، رغم كل الصعوبات والقوى المضادة.

دارت مقالات الكتاب حول أربعة أجزاء، تناول الجزء الأول الاتحاد الأوروبي وتحديات العولمة في الداخل والخارج وأزمة الهجرة، والتهديد الإرهابي الحالي في أوروبا. وكان الجزء الثاني من الكتاب حول العلاقات بين الاتحاد الأوروبي والقوى العظمى في عهد ترامب وفرص ومخاطر العلاقات بين الصين وأوروبا بينما تنوعت موضوعات الجزء الثالث حيث دارت حول الاتحاد الأوروبي والشرق الأوسط وتركيا ودول الخليج والعلاقات بين إيران وأوروبا. واختتم الكتاب بالجزء الرابع والأخير بالعلاقات الأوروبية الإسرائيلية ودارت موضوعاته حول قضايا العلاقات الاقتصادية والقضايا الأمنية والانتخابات ومعاداة السامية.

يذكر المؤلف يوئيل جوزانسكي في مقالته: » أوروبا في ساحة الخليج من الشراكة الاقتصادية إلى المشاركة الإستراتيجية» أن الدوافع المختلفة للاتحاد الأوروبي أدت إلى تعزيز علاقاته مع دول مجلس التعاون الخليجي (GCC)، بما في ذلك المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة والبحرين وقطر وعُمان والكويت منذ إنشائها. ولهذه الغاية، قدم الاتحاد الأوروبي أيضًا قائمة طويلة من المبادرات الدبلوماسية وعلى الرغم من إمكانية تحسين العلاقات بين الجانبين، فإن الإنجازات كانت محدودة، ولم تثمر العديد من المبادرات.

الحجة الرئيسة في المقالة هي أنه على الرغم من الأهمية الإستراتيجية لساحة الخليج، فإنّ دور أوروبا لا يزال محدودًا بسبب سلسلة من الظروف. والتي تشمل الصعوبة في صياغة سياسة خارجية موحدة من أوروبا ودول الخليج، تفضيل القنوات الثنائية والمتعددة الأطراف على كلا الجانبين؛ ربما أكثر من أي شيء آخر بسبب الدور الأمريكي الرائد في الخليج في القيم والحياة الطبيعية بين الأحزاب ودفء العلاقات التدريجية بين عدة دول أوروبية وإيران بعد توقيع الاتفاقية النووية مع القوى العظمى.

إن خلق إنشاء مجلس التعاون الخليجي في عام ١٩٨١ فرصة للاتحاد الأوروبي لتعزيز العلاقات مع دول الخليج العربية، وتأسيس المنظمة نتيجة مباشرة للتعاون السابق بين دول الخليج العربي والظروف الخاصة التي كانت سائدة في ذلك الوقت في الساحة الخليجية، كالثورة الإسلامية والحرب الإيرانية العراقية. في الوقت نفسه، تصور البلدان الستة المؤسسة نموذجاً يحتذى به في الاتحاد الأوروبي، يليه الاتحاد الأوروبي (EU)، مما أدى إلى تكامل أكبر في القارة، على النقيض من النماذج المتوازية للتعاون العربي التي طورتها منظمات إقليمية ضعيفة وغير فعالة. وقد أتاح إنشاء الكتلة العربية المشتركة فرصة إضافية للجانبين لتعزيز تعاونهما بما يتجاوز مستوى العلاقات بين الدولتين ورفعه إلى مستوى مشترك بين المنظمات، رغم أن هذا التعاون، كما تسعى المقالة إلى إظهاره، لم يذهب إلى أبعد من القضايا السطحية «الرخوة».

حتى الآن، كان الاهتمام الأوروبي الرئيسي هو اختراق الأسواق الخليجية والوصول إلى الموارد الطبيعية. وبسبب القرب الجغرافي النسبي بين أوروبا والشرق الأوسط. في عام ١٩٨٨، وقع الاتحاد الأوروبي مع مجلس التعاون الخليجي اتفاقية خلقت الأساس القانوني للشراكة، وللمرة الأولى سعت إلى إعطاء مضمون للعلاقة بين الطرفين في الاستثمار والتجارة والتكنولوجيا والطاقة. تم التركيز على الاقتصاد، عندما كانت الفائدة الأوروبية هي الأعلى كان هناك وعد لتوريد النفط العادي من الخليج بأسعار مناسبة. زاد حجم التجارة بين الجانبين في العقد الماضي، وفي عام ٢٠١٦ ازداد حجم التجارة للاتحاد الأوروبي حيث بلغت ١٣٨ مليار يورو، منها ١٠٠ مليار خرجت من الصادرات الأوروبية إلى الخليج. كما أعلن الجانبان عن بدء حوار في مايو ٢٠١٧ من أجل تعزيز التجارة والاستثمار بينهما، ومع ذلك، لم يتم التعاون الاقتصادي، وربما يرجع ذلك إلى عزوف دول الخليج عن تعميق العلاقات العامة. على الرغم من الجهود المستمرة على مدى أكثر من عقدين، لم يتم توقيع اتفاقية تجارة حرة بين المنظمات، على الرغم من التزام القادة في كلا الجانبين بهذه المسألة. في عام ٢٠١٧، أعلنت المستشارة الألمانية أنجيلا ميركل أن «أوروبا لديها اهتمام كبير بالتوقيع على اتفاقية تجارة حرة مع دول الخليج»، وأن الاتحاد الأوروبي قدم اقتراحًا جديدا إلى دول الخليج .

كان السبب الرئيسي لعدم إحراز تقدم في هذا الموضوع هو تفضيل دول الخليج توقيع اتفاقيات التجارة الحرة مع الولايات المتحدة، وعلى أساس ثنائي. وقد فضلت واشنطن على مر السنين أيضًا إقامة علاقاتها التجارية مع دول الخليج على هذا الأساس، وضغطت على الدول للقيام بذلك. كان أول من وقع على اتفاقية تجارة حرة مع الولايات المتحدة دولة البحرين في عام ٢٠٠٤، تلتها دولة أخرى من الدول الست الأعضاء في مجلس التعاون الخليجي.

شهدت منطقة الخليج عدم استقرار في العقد الماضي، لكن الاضطرابات الإقليمية وأزمة الهجرة اللاحقة خلقت شعوراً بالإلحاح إلى زيادة المشاركة الخليجية والتفاهم بأنّ الخليج كان ساحة مركزية لأمن واستقرار أوروبا. على النقيض من فشل الدولة الذي يميز إلى حد كبير بلاد الشام والمغرب العربي، ظلت دول الخليج العربية مستقرة نسبيا سياسيا واقتصاديا. هذا بالإضافة إلى النشاط والإصرار الذي أظهره البعض في إدارة الأجندة العربية - مع التركيز على المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة - جعلهما هدفاً محتملاً للتعاون السياسي للعديد من الدول الأوروبية.

بشكل عام، ظلت المصالح الأوروبية الأساسية في الخليج دون تغيير: إضافة إلى أن دول الخليج كانت تشكل حاجزًا أمام الجهود التوسعية الإيرانية في المنطقة، إلا أنهم اليوم يشكلون الساحة المستقرة والمزدهرة في المنطقة العربية. بما لديهم من موارد وطاقة هائلة؛ وتعد العديد من دول الخليج أوروبا مصدرا رئيسا لرأس المال البشري المهني وهدفا استثماريا مهما، ومصدرا للتكنولوجيا، وفي بعض الحالات مصدرا

للدعم السياسي. وبغض النظر عن حقيقة أن دول الخليج العربية هي موطئ للاستقرار السياسي والاقتصادي خلال فترة الاضطرابات الإقليمية، فإنَّ أهميتها مهمة أيضاً لأنها تملك العديد من التأثيرات في المنطقة العربية.

علاوة على ذلك، فإنَّ الخليج هو سوق جذاب لصناعة الأسلحة الأوروبية، وتعتبر الولايات المتحدة - أوروبا المورد الرئيسي للأسلحة لدول الخليج. وفي سنوات ٢٠١٢-٢٠١٦، كانت خمس دول أوروبية غربية - بريطانيا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا وإسبانيا - تصدر ما يقرب من ربع صادرات الأسلحة العالمية إلى الخليج. وخلال هذه السنوات، احتلت دولتان في الخليج وهما المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة المرتبة الثانية والثالثة على التوالي، باعتبارهما من أبرز مستوردي الأسلحة في العالم.

إلى جانب التعاون الاقتصادي المتزايد بين الجانبين، أدرك قادة القارة منذ أمد بعيد الأهمية الإستراتيجية لساحة الخليج، وذلك بسبب التوتر المتزايد مع إيران حول القضية النووية. سعت مبادرة الشراكة الإستراتيجية للاتحاد الأوروبي لعام ٢٠٠٤ إلى إرساء الأساس لمزيد من الحوار مع مجلس التعاون الخليجي في مجموعة واسعة من المواضيع. كما أدرك الاتحاد الأوروبي أنه يجب تخصيص المزيد من الموارد لتعزيز هذه الروابط. ولتحقيق هذه الغاية، افتتحت المنظمة أول ممثل لها في الرياض، عاصمة المملكة العربية السعودية في عام ٢٠٠٤، وفي عام ٢٠١٣ افتتح وفد آخر من الاتحاد الأوروبي في أبو ظبي بالإمارات العربية المتحدة. وعلى الرغم من هذه التطورات، لم يتم صب الكثير من المحتوى على المستوى التنظيمي، وكانت معظم الجهود موجهة على المستوى الثنائي، وكان ذلك من أسباب ضعف مجلس التعاون الخليجي كمنظمة، والأهم من ذلك كله هو تضارب المصالح داخل دول مجلس التعاون الخليجي، والاتفاق الضئيل بين دول الخليج نفسها والاتحاد الأوروبي ومجلس التعاون الخليجي فيما يتعلق بالسياسة الإقليمية والأهداف التي سيتم اعتمادها.

في ضوء التحديات التي تطرحها التغييرات الإقليمية في عام ٢٠١١، هناك محاولات متزايدة من قبل العديد من اللاعبين الأوروبيين (في هذا السياق خاصة فرنسا وألمانيا والمملكة المتحدة) وكذلك الاتحاد الأوروبي نفسه لتوجيه الجهود السياسية والأمنية إلى الشرق الأوسط بشكل عام والخليج على وجه الخصوص. ويمكن ملاحظة ذلك في زيادة الوجود العسكري للدول الأوروبية في الخليج، حتى قبل اندلاع الاضطرابات الإقليمية، كما يتجلى ذلك في إنشاء القاعدة العسكرية الفرنسية في الإمارات العربية المتحدة في عام ٢٠٠٩، وافتتاح القاعدة البحرية البريطانية في البحرين عام ٢٠١٦، مع تصدير الأسلحة إلى المنطقة، وكذلك تدريب قوات الأمن في الخليج.

الحواجز التي تعترض تعزيز التعاون بين الجانبين تتغذى إلى حد كبير من القيم والمعايير الأساسية للاتحاد الأوروبي والدول الأعضاء فيه والتي تختلف عن تلك الموجودة في الخليج. حقيقة أن هاتين الكتلتين مختلفتان من حيث أنواع

الحكومات . ديمقراطية مقابل سلطوية وممثلين منتخبين ضد الملكيات.لم تساعد الجانبين على تشديد العلاقات بينهما، خاصة في السنوات الأولى بعد الاضطرابات الإقليمية، عندما كان هناك أمل في أوروبا بأن روح الديمقراطية التي تهب في الشرق الأوسط ستزيد من مشاركة المواطنين في السياسة. ظل الاتحاد الأوروبي ملتزمًا بتشجيع الحرية السياسية، في حين أن قادة دول الخليج لم يتصرفوا حتى ذلك الحين، بل أيدوا في بعض الأحيان الأنظمة الاستبدادية في المنطقة، والبعض الآخر دعم المنظمات الإسلامية الراديكالية.

قادة الخليج غير راضين عن الانتقاد الغربي لحقوق الإنسان والديمقراطية. التفضيل الأوروبي الواضح هو للإصلاحات السياسية وحقوق الإنسان، مع التركيز على حقوق الأقليات والنساء، ومع ذلك، فإن أوروبا، سواء ككتلة أو كدول فردية، ليس لها تأثير فعال على دول مجلس التعاون الخليجي في هذا السياق. وترتبط أسباب ذلك أساسًا بحقيقة أن الأنظمة الخليجية غنية بالأساس ومؤيدة لأمريكا. لذلك، فإن عرض المساعدات الخارجية الأوروبية كوسيلة «لإقناع» البيوت الملكية لفتح النظام السياسي على الأقل ليس فعالاً بشكل عام. في الوقت نفسه، على الرغم من التوجه الأمريكي الواضح للأنظمة العربية في الخليج، فإنهم مهتمون بتنويع مصادر دعمهم وتعزيز علاقاتهم السياسية والأمنية مع عناصر أخرى، إلى جانب الولايات المتحدة. بالفعل، هناك عدد قليل من الدول الأوروبية التي تزود دول الخليج بالأسلحة المختلفة، حتى لو كان هناك في السنوات الأخيرة انتقاد أوروبي حول استخدام بعض الأنظمة الخليجية للأسلحة. في فبراير ٢٠١٦ أصدر البرلمان الأوروبي قرارًا رئيسًا بشأن حظر الأسلحة المفروض على المملكة العربية السعودية بسبب «الكارثة الإنسانية» التي سببتها مشاركتها العسكرية في اليمن.

يعتبر دفء العلاقات بين الاتحاد الأوروبي والعديد من البلدان في القارة وإيران ابتداء من عام ٢٠١٥ عقبة رئيسة أمام تعزيز العلاقات بين الاتحاد الأوروبي والمجلس في هذا الوقت. إن عودة إيران إلى المجتمع الدولي هي مصدر قلق للأنظمة في الخليج، التي تعتبر إيران تهديدها الرئيسي. فهي مصدر للتوتر وتؤثر بشكل سلبي على تحسين العلاقات بين دول الخليج والدول الأوروبية. هذا هو الحال منذ بداية تطبيق الاتفاق النووي بين إيران والسلطات وإزالة بعض العقوبات الأوروبية المفروضة على إيران (لا تزال هناك مثل هذه العقوبات بسبب وضع حقوق الإنسان في إيران واضطهاد الأقليات داخل حدودها) حيث يوجد زخم في الاتصالات والاتفاقيات بينها وبين بعض الدول الأوروبية.

في كل من أوروبا والخليج هناك اعتراف بالقيود الكامنة في علاقاتهم، لكن هناك رغبة في تعميقها، على الأقل كما سنرى علانية. لا يزال الخليج مصدرًا للطاقة وسوقًا اقتصادية مهمة لأوروبا - كهدف للسلاح الأوروبي ومؤخرًا كهدف رئيسي لبيع التكنولوجيا النووية المدنية، وفي نفس الوقت، فإن التفاهم في بروكسل والعواصم الأوروبية هو أن الخليج أمر حيوي للاستقرار في الشرق الأوسط ككل وفي شمال إفريقيا على وجه الخصوص، بسبب تأثير دول الخليج على استقرار الأنظمة العربية المختلفة في بلاد الشام والمغرب العربي. لذلك، قد يكون تعزيز الحوار مع الأنظمة الملكية في الخليج في هذا السياق مفيدًا لتعزيز المصالح الأوروبية.

حتى لو لم تتمكن أوروبا من توفير الأمن للأنظمة الخليجية في الوقت الحاضر، فإنها يمكن أن تخدم بدرجة معينة. وفي النهاية، فإن عمليات الشراء الهائلة للأسلحة من قبل دول الخليج تهدف في المقام الأول إلى أغراض سياسية وتقوية الروابط مع القوى الدولية الملتزمة بأمنها. على الرغم من أن دول الخليج كانت تركز على الأسواق الناشئة في آسيا باعتبارها الوجهة الأساسية لصادرات النفط والغاز في السنوات الأخيرة، إلا أن أوروبا لا تزال بحاجة إلى النفط والغاز من الخليج لتنويع مزيج الطاقة وخفض الضغط عليه من قبل اللاعبين مثل روسيا. يمكن لدول الخليج أن تستخدم هذا لزيادة المكاسب السياسية التي تحصل عليها من أوروبا، على سبيل المثال في القضية الأكثر أهمية بالنسبة لهم، وهي إيران.

اسم الكتاب: الاتحاد الأوروبي في عصر الاضطرابات: الاتجاهات والتحديات والتداعيات بالنسبة لإسرائيل
المؤلف : مجموعة مؤلفين
الناشر : معهد دراسات الأمن القومي بتل أبيب
سنة النشر : مايو ٢٠١٨
اللغة : العبرية.
عدد الصفحات: ١٦١ صفحة.

*** أكاديمية مصرية**

المسلمون في إيطاليا: التأثيرات المدنية والاجتماعية للمجتمعات الإسلامية في روما - لفابريتسيو شوككا

فاتنة نوفل *

«الإسلام» و«المسلمون» هما أكثر المواضيع المتناولة في المُناقشات العامة في الوقت الحاضر في أوروبا، وأيضاً في إيطاليا. يقدم المؤلف في هذا البحث تحليلاً حول تأثير وأهمية وجود الجاليات الإسلامية وتزويد القارئ «ببوصلة» حول موضوع مُعقد يشمل الجوانب المدنية، والاجتماعية، والدينية، والهوية.

المفتاح المثير للقلق الذي يُهيمن اليوم على نهج الهجرة، والهجرة الإسلامية على وجه الخصوص، هو سياسة وسائل الإعلام، التي تعصف باستمرار بالسياسات الأمنية من خلال الدعايات الانتخابية معتمدة على أرقام الخسائر الكبيرة التي تعرضت لها أوروبا.

في هذا السيناريو غالباً ما تميل، أجهزة الإعلام، وبالتوازي مع شبكة الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي، إلى تقديم إطار واحد فقط من الهجرة، ووصفها بأنَّها غير منتظمة وخطيرة، بتعمد زيادة أعداد المسلمين، متناسين أن الهجرة إلى إيطاليا الآن منتظمة ومستقرة وتساهم في الثروة الوطنية، فوفقاً لأحدث التقارير لمؤسسة ليون موريسسا فإن المهاجرين ساهموا بـ (١٢٣ مليار يورو، ما يساوي ٩٪ من الناتج القومي الوطني) هذا النقص في صحة المعلومات المتداولة، لا يُساعد على فهم هذه الظاهرة ويقدم تصوراً مشوها تماماً لدى السكان الإيطاليين مقارنة بالمعدلات الفعلية والتي من شأنها أن تولد نوبات من التعصب والعنصرية وكره الأجانب. وعلاوة على ذلك، فإنّ مناخاً من السخط لا يساعد على تخطيط سياسة واعية للمناطق المدنية. وفي هذا السياق، إذا تم تحديد «المهاجر المسلم» وعلاقته بالإسلام، فإنها تثير في الرأي العام مشكلة أخرى مرتبطة بظواهر الهجرة.

في الواقع ومنذ هجوم ١١ سبتمبر ٢٠٠١، مرورا بهجوم ٢٠٠٤ في مدريد و٢٠٠٥ في لندن، اشتعل في الغرب وبطريقة ملحة الجهاد الإرهابي (أولا تنظيم القاعدة ومشتقاته، واليوم تنظيم الدولة الإسلامية، وغيرها من المجموعات المنتشرة في العالم) النتيجة الأولى هي ولادة إحساس بالخوف وانعدام الأمن والتوجس من المُسلمين الأجانب المقيمين في المنطقة؛ على اعتبار أن الإسلام دين خارجي «عنّا وعن ثقافتنا».

وضع المرأة، والعلاقة بين الدين والسياسة، والأصولية والإرهاب من أصل إسلامي، أصبحت الإطار الذي من خلاله يتم قراءة الإسلام والمسلمين وتقديمه للرأي العام. لذا فإن الخوف «من الأجانب» يضاف إليه الخوف «من المسلمين» الذين يتم توبيخهم لعدم التنصل من الهجمات الإرهابية (باريس، بروكسل، نيس...إلخ) ، في نوع من الذنب الجماعي لمجرد كونهم مسلمين.

الاتجاه الحالي من قبل وسائل الإعلام، التي تعمد إلى تقديم المسلمين الأجانب في إيطاليا كأنهم «كتلة واحدة متجانسة» دون الأخذ بعين الاعتبار التنوع العرقي، والثقافي والوطني، والذي يؤثر في هيكلة تكوين الفرد.

السؤال الذي يجب الإجابة عليه في هذه المرحلة يتكون من النقطتين التاليتين: كم عدد المسلمين ومن أي الدول يأتون؟ ما هو الأثر الاجتماعي-المدني الذي تحدثه الأقلية الدينية الإسلامية بناءً على دينها؟

فيما يتعلق بالبيانات على المستوى الوطني في إيطاليا، فهي تقدر بحوالي ٢,٧ مليون مسلم، ١,٦ مليون من أصول أجنبية، و٨٠٠ ألف يحملون الجنسية الإيطالية، و١٠٠ ألف من الإيطاليين الذين اعتنقوا الدين الإسلامي، يتمركز معظمهم في الشمال (٦٠ ٪تقريبًا منهم يتمركزون في ٤ أقاليم هي: لومبارديا، بييمونتي، فينيتو وإميليا رومانيا) ، في المناطق الصناعية الكبيرة التي تجعل من إيطاليا الدولة الأوروبية الرابعة لوجود المسلمين بعد فرنسا، وألمانيا والمملكة المتحدة. علاوة على ذلك، يجب أن يُنظر إلى أنه وفقاً للخبراء الديمغرافيين، فإن هذا العدد مرشح للارتفاع، وذلك بسبب معدل المواليد (المنخفض جدا لدى الإيطاليين، والمرتفع لدى العائلات المهاجرة) ومن خلال تدفقات الهجرة القادمة من البلدان الإسلامية ما يقدر وجود المسلمين في إيطاليا في عام ٢٠٣٠ إلى أكثر من ٣ ملايين مسلم.

لذلك من الضروري أن تقوم المؤسسات والمجتمع في البدء بإعداد أنفسهم، وقبل كل شيء، على قبول ظاهرة اجتماعية لا يمكن التراجع عنها الآن، وهي أن تكون إيطاليًا بلدا متعدد الأعراق والديانات، ولا يمكن اعتبارها ظاهرة «عابرة» بل «مستقرة». إن نمو إيطاليا على المستوى الدولي سيكون أيضًا عن طريق الآليات التي ستستخدمها من أجل الانخراط والدمج داخل «النظام القطري» والنسيج الاجتماعي- المدني، المهاجرون الأجانب القادمون من لغات/ ثقافات /تقاليد وأديان مختلفة.

هناك بالتأكيد مشكلة تتعلق بالأمن القومي ترتبط بالإرهاب ذي الطابع الجهادي، والتي لها مصلحة في توظيفه، في السياق المدني الكبير. إن شرائح الشباب المسلم التي تعاني من أزمة الهوية والمشاكل الاقتصادية، بتقديم البديل لها كعوامل جذب مقارنة بأوروبا (الى إيطاليا) التي لم تعرف ولم تكن قادرة حتى الآن على إدماج الأجيال الثانية والثالثة. هناك أيضًا قضية تتعلق بوجود حوالي ١٠ آلاف مسلم نزلاء سجون، ثلثاهم من الملتزمين دينيًا، وفق وزارة الداخلية، ما يتوجب السماح لهم بحق العبادة ومن ناحية أخرى تفعيل آليات مراقبة فردية تحسبًا لأي شكل ممكن من أشكال التطرف.

جانب آخر مثير للاهتمام هو ممثلو الجاليات الإسلامية، حيث بالإضافة إلى الجمعيات التاريخية (اتحاد الجماعات الإسلامية في إيطاليا، والمجتمع الديني الإسلامي، والمركز الثقافي الإسلامي في إيطاليا، والاتحاد الإسلامي الإيطالي) التي تأسست منذ سنوات عديدة كنقطة مرجعية للمهاجرين الأوائل، الآن بدأت بالظهور منظمات وكوادر جديدة من الشباب المسلم، المولودة غالباً في إيطاليا، والتي تقترح مطالب لتلبية احتياجات المهاجرين كمواطنين كاملي الحقوق في البلد الذي يعيشون فيه.

التأثير المدني والاجتماعي للجاليات الإسلامية في روما، الذي تناوله فابريتسو شوككا، قدم مفتاحًا للقراءة عن التساؤلات التي تدور عن حال أحد أهم العواصم الأوروبية الرئيسية في وقت تاريخي من التفاعلات المتضاربة بين الأحداث الثقافية، والخطابات المتنامية الداعية إلى كراهية الأجانب، العنف القائم والأصولية.

إن ايطاليا تمثل في الواقع وجهة طريق للمهاجرين لأسباب اقتصادية أو لطلب اللجوء والذين يتجهون من البحر الأبيض المتوسط إلى أوروبا، ما يجعل من روما أول وأهم الحاضنات.

من الممكن توثيق تحول المنطقة المدنية على مدار الـ ٢٥ عامًا الماضية مع تركيز خاص، على لوحة الشتات الإسلامية. ففي هذا البحث يستعرض شوككا أبحاث المجلس الوطني «الإسلام والغرب مفاوضات أم صراع حضارات» وفيها أفكار لتحليل آثار الحركات الإسلامية في إيطاليا من الجماعات

الدولية ذات الطابع الإسلامي التي تعمل على إعادة اكتشاف الهوية الدينية في البلد المضيف.

البيانات الواردة في المجلد تقدرعدد المسلمين بـ ١٠٠ألف في محافظة روما، والذي يشمل المقيمين النظاميين وغير الشرعيين. هذا الكون الواسع من المسلمين في روما ينتمي إلى أنواع مختلفة من المذاهب. الأغلبية الساحقة البالغة ٧٠٪، تنتمي عقيدتها إلى الإسلام السني أو الشيعي، ١٩٪ تنتمي إلى «جماعات التبليغ «، يضاف إليهم ٤ ٪من السلفيين. وهناك ٤٪ من مكونات مسيسة من شمال أفريقيا والشرق الأوسط وجنوب آسيا، متأصلة في مجمع المنظمات الإسلامية في إيطاليا والمنتدى الإسلامي الأوروبي.

أصبح موضوع إدارة الأنظمة المدنية واقعا وموضوعا للنقاش على المستوى الأكاديمي؛ فالمناطق المدنية، الموجودة بالفعل، متجهة إلى مزيد من التمدد لثلاثة أضعاف في الثلاثين عاماً المقبلة، ومرشحة لتستقبل ٧٣ مليون شخص إضافي في المتوسط كل عام. فوفق توقعات الأمم المتحدة لعام ٢٠٥٠، فإنّ عدد سكان الكرة الأرضية سيبلغ ١٠ مليارات، يقدر أن ٧٠ ٪منهم سيبقون في المدن التي تشغل ٣ ٪فقط من سطح الأرض، وهم مسؤولون عن ٨٠- ٪٧٠ من استهلاك الطاقة و٧٥ ٪عن انبعاث الكربون؛ فهذا النمو السريع غير المنضبط وغير المنظم يتطلب أشكالاً جديدة من الحكومة، تتوجه بالضرورة نحو الحوار والاندماج وفوق كل شيء إعادة اكتشاف معنى المواطنة.

إن نوع الهجرة بسبب«عوامل الجذب» (من أجل العمل، ومن خلال الموافقة بواسطة سياسات توظيف محددة يتم تنظيمها من خلال مراسيم قانونية تستخدمها إيطاليا لاستجلاب العمالة الأجنبية والتنظيمات غير القانونية)، تختلف عن نوع الهجرة بسبب «عوامل الطرد» (هرباً من الحروب، والإرهاب، والكوارث الإنسانية والبيئية، وحالة الفقر المدقع) ، وهذا النوع الثاني من الهجرة أكثر صعوبة في التعامل والإدارة مقارنة مع الأول، فإنه غالبا ما يسبب موقف العداء المتزايد للأجانب من قبل السكان، «أجنبي منبوذ» ينظر إليهم على أنها محتاجون وخطيرون. فسياسات الإدماج لا تحظى بالإجماع الاجتماعي اللازم للرد على الأحزاب اليمينة أو الحركات الشعبية المؤيدة لإغلاق الحدود وطرد المهاجرين غير المنتظمين.

تم التطرق إلى النقاط المختلفة لمحاولة فهم واقع تأثير الجالية الإسلامية على المستوى المدني والاجتماعي في مدينة روما. في نهاية تسعينيات القرن الماضي، كان عدد الأجانب المقيمين في روما تقريبا ١٠ آلاف شخص، اليوم عددهم يقارب الـ ١٢٠ ألف ما يعادل ٤ ٪من مجموع سكان العاصمة.

أكثر من الثلث يحملون الجنسية الإيطالية، تحتل الجالية البنغالية المركز الأول (بحوالي ٢٦ ألف مسلم) ، يتبعها الجالية المصرية والمغربية (بـ ١٠ آلاف وه آلاف على التوالي). هذه الفسيفساء تتكون أيضًا من جنسيات، لغات وثقافات أخرى، من ٤٢ دولة مختلفة، من آسيا وأفريقيا وأوروبا. في هذا الإطار- القائم اليوم فعلا في العاصمة يجعل

من الإسلام وفق عددهم الديانة الثانية بعد المسيحية- ليس فقط كديانة بل كدستور للمبادئ والقيم المشتركة.

كيف يؤثر ذلك على مدينة روما؟ وما الذي يحدثه من تغييرات؟ إن الجاليات المسلمة، التي بدأت تستقر ببطء ابتداءً من ثمانينيات القرن الماضي، اليوم هي مجتمعات مستقرة من المهاجرين (٩٠٪ مع تصريح إقامة قانوني)، ثلثهم من النساء، مندمجين في النسيج الإنتاجي للاقتصاد في روما، والذي يساهم بنحو ٥٪ من الدخل لروما، معدلات التوظيف تتماشى بشكل كبير مع المعدلات الإيطالية، مع حوالي ١٥ ألف شركة في روما يمتلكها أجانب قادمون من بلدان إسلامية. يعيش معظمهم في الأحياء رقم واحد، وخمسة، وستة؛ لأسباب رئيسية وهي انخفاض تكلفة الإيجارات في المباني القديمة أو لسلسلة من الفرص الاقتصادية التي ساهمت على مر السنين على جذب المهاجرين الجدد للعيش فيها مما ساهم في زيادة عدد المسلمين. فمن الشتات للمهاجر، المسلم الذي أصبح دائمًا بمرور الوقت يتطلب احتياجات داخل المجتمع، ومن هجرة «اقتصادية»(أو هجرة ذكور بالغين موجودين بشكل مؤقتً) أصبحت هجرة سكانية، لديها مجموعة من الاحتياجات الجديدة، وخاصة للأجيال الثانية والثالثة. فظهور جيل جديد من المواطنين الإيطاليين المسلمين، وهو ما يطلق عليه عمومًا «الجيل الثاني» يجعل من الإسلام وبشكل متزايد دينًا إيطاليًا وأوروبيًا، والمسلمون كمواطنون يرفضون التهميش والاستبعاد، كما حدث عند إغلاق عدد من المساجد والجمعيات الثقافية عام ٢٠١٦ (بعضها تم إعادة فتحها بعد اللجوء إلى القضاء).

يتطابق توزيع المساجد بشكل واضح مع تركيز وجود السكان المسلمين في بعض الأحياء. ووفقاً لبعض الأبحاث، يقدر عدد المسلمين الملتزمين من ١٦-٢٠ ألف شخص، يرتفع هذا العدد إلى الضعف خلال شهر رمضان وبالتالي يصل عددهم الى ٣ ملايين من سكان روما.

في روما وخارجها، يعتمد طلب المسجد دائمًا على استعداد ومرونة رئيس البلدية وإدارة البلدية، حيث لا يوجد حتى الآن قانون وطني ينظم افتتاح مسجد أو قاعات صلاة إسلامية. مما يضطر المسلمين الى استخدام أماكن غير ملائمة كالكراجات، والطوابق السفلى، والسقائف غير المرئية، وذلك يعمل على بث الخوف وعدم الثقة في المواطنين بسبب هذا الاستخدام المرتجل في أماكن غير صالحة. على سبيل المثال وفي هذه المرحلة من الجمود، في انتظار التوصل إلى اتفاق ثابت بين الدولة والجالية الإسلامية أو قانون وطني متخصص في الموضوع في المستقبل، وكخطوة أولى من الأفضل منح مباني غير مستخدمة من البلدية لإدارتها من قبل الجالية الإسلامية، مما يجعلها جزءًا فعالًا في حل هذه المشكلة.

في بحث ميداني مطول اتفق جميع الأشخاص المسلمين الذين قابلهم المؤلف على الإشارة إلى أن معظم وسائل الإعلام، الوطنية والمحلية على السواء، مذنبة بتقديم المسلمين بشكل شبه دائم بأنهم على علاقة بالأخبار «السيئة» أخبار(الجريمة، والإرهاب والهجرة غير القانونية). في الواقع، يعتقد الإيطاليون أن عدد المسلمين هو ٢٠ ٪ ، مقارنة بالعدد الحقيقي وهو ٤٪.

بالمقابل هناك الأمثلة الإيجابية أيضًا، حيث يحدث الاندماج والتفاعل الذي طال انتظاره بطريقة بسيطة وتلقائية، فمثلا في سوق إسكويلينو هناك العشرات من محال الجزارة الحلال التي يديرها مسلمون على اتصال وثيق بالإيطاليين، والتي عبر عنها رجل إيطالي صاحب محل منذ ٣٠ عاما، «جميعهم أناس لطفاء، ويوحدنا التعب». أيضا في محلات الخضراوات والفواكه، والتي يدير معظمها المصريون: فإنه ليس من النادر أن نلاحظ كيفية تعامل الزبائن من كبار السن مع الشباب المسلمين وطلبهم للنصيحة عن أفضل منتج لشرائه في ذلك اليوم.

لعل التغيير النهائي سيتحقق، وباستخدام كلمات أليساندرو باولانتوني» الجيل الثاني والثالث، اللذين لديهما عقلية مختلفة مقارنة بالمهاجرين من الجيل الأول»، حيث لن يُنظر إلى المسلم باعتباره عاملاً مختلفا بالنسبة لأغلبية المواطنين الأصليين «الأصول النقية» ولكنه ببساطة جزء من هوية مواطن إيطالي آخر؛ أوروبي، إيطالي، روماني ومسلم.

العنوان: المسلمون في إيطاليا، التأثيرات المدنية والاجتماعية للمجتمعات الإسلامية في روما.
المؤلف: فابريتسيو شوكا.
دار النشر: ميلتيمي لينيي
بلد الاصدار: ايطاليا
لغة الكتاب: الايطالية
تاريخ الاصدار: نيسان ٢٠١٨
عدد الصفحات: ١٣١

*** مترجمة عربية مقيمة في إيطاليا**

معاهدات الاستثمار الثنائية الأولى لكينيث فاندفيلد

محمد السالمي *

كثيراً ما يعكس نوع الاتفاقيات الدولية متانة العلاقات والثقة بين الدول؛ ففي نطاق الولايات المتحدة الأمريكية، تعد معاهدات الاستثمار الثنائية أو معاهدة الصداقة والتجارة الأمريكية (FCN) في فترة ما بعد الحرب هي اللبنة الأساسية لأغلب معاهدات الاستثمار الدولية. حيث كان الهدف من هذه الاتفاقية حصول الشركات الأمريكية التي تستثمر في الخارج على نفس الحماية التي يحصل عليها المستثمرون الأجانب في الولايات المتحدة بموجب دستور الولايات المتحدة. يتطرق كتاب «معاهدات الاستثمار الثنائية الأولى» إلى كيفية إعادة صياغة معاهدات FCN، التي تعود إلى عام ١٧٧٦ والموقعة مع فرنسا والتي تتعلق في الأصل بإقامة علاقات تجارية وبحرية. كما يقدم هذا الكتاب إضافة للتاريخ الدبلوماسي، من حيث استعراضه للتاريخ المبكر للممارسة الأمريكية من خلال سرده للتاريخ التفاوضي للمعاهدات الثنائية للولايات المتحدة، ويوضح سياسة واستراتيجية الولايات المتحدة للتفاوض في ظل الرؤساء المتعاقبين. الكتاب من تأليف البروفيسور كينيث فاندفيلد، ويشغل حاليا منصب عميد وأستاذ القانون في كلية توماس جيفرسون للقانون في سان دييغو، وشغل سابقا ممثلا للولايات المتحدة في المحكمة الدولية في لاهاي . ونظراً لخبرته في الخدمة الحكومية والأكاديمية، يعد البروفيسور فاندفيلد واحدا من أهم رواد هذا المجال.

يقدم الكتاب تحليلاً مفصلاً لمحتوى العديد من المعاهدات الثنائية الرئيسية. كما أنه حريص على مراجعة التفكير وراء تصميم المعاهدات الثنائية الحديثة للولايات المتحدة الأمريكية، بدءاً بأهداف الصفقة الجديدة لإدارة فرانكلين روزفلت والتي تم فهمها كجزء من الترتيبات الاقتصادية الدولية بعد الحرب. كما يدرس خطاب تنصيب الرئيس هاري ترومان، والذي يربط بين سياسة الاستثمار الأمريكية والتنمية الدولية. وأخيرًا، يختتم بتحليل التعديلات التدريجية للنموذج الأمريكي للمعاهدات الثنائية في سياق المفاوضات العشرين سنة لما بعد الحرب مباشرة.

يحلل فانديفيلد عدة أغراض مركزية لمعاهدة الاتفاقية الثنائية الأمريكية بعد الحرب. الأول هو تمكين التجارة الدولية من التوسع وتحقيق التنمية الاقتصادية لبقية العالم. كان هناك جانب ثان ومهم في أهداف معاهدة FCN و هو تعزيز حكم القانون، والذي كان يعتبر ضروريا للهدف الأول. أما الهدف الثالث والذي كان يُساء فهمه في بعض الأحيان هو تشجيع التجارة في الاتجاهين. يحتاج المصدرون الأمريكيون إلى أسواق للسلع والاستثمارات الأمريكية، لكن المشترين لا يستطيعون شراء السلع الأمريكية إلا إذا كان لديهم الدولارات لشرائها. ولهذا السبب، كان من الضروري أن تكون المعاهدات تسمح للتجار الأجانب بجمع الدولارات لشراء الصادرات الأمريكية. تظل المعاهدات الثنائية «FCN" إلى اليوم على الرغم من أن طبيعتها المتبادلة غالبا ما يتم طرحها وإساءة فهمها من قبل النقاد كونها مجرد حماية للمصدرين والتجارة الأمريكيين، وليس القصد منها خلق فرص متكافئة للفريقين. كما يبين فانديفيلد أن المفاوضين لمعاهدات الثنائية بعد الحرب فهموا أن المستثمرين الأمريكيين في الخارج يحتاجون إلى درجة معقولة من الحماية وأنه من المناسب توسيع المبادئ التي تضمن حمايتهم من المعاملة أو المصادرة غير المعقولة والتمييزية. لكن المفاوضين أدركوا أيضًا أن الدولة المضيفة يجب أن تتمتع دائمًا بالحق في تنظيم وتحديد أولوياتها الخاصة.

يُعتقد أن الولايات المتحدة يجب أن تعمل من أجل ضمان توظيف القوى العاملة و رفع مستوى المعيشة، وهذا هو لب النظرية الاقتصادية الكينزية. في سعينا إلى تحقيق التوظيف الكامل ومستوى المعيشة المرتفع في جميع أنحاء العالم، ركزت إدارة روزفلت في بداية تخطيطها الاقتصادي الدولي بعد الحرب على السياسة التجارية والسياسة النقدية. كانت التجارة هي الشاغل المركزي للسياسة الاقتصادية الخارجية في أوائل الأربعينيات. وكما أوضح ليو باسفولسكي، الذي عمل كمساعد خاص لوزير الخارجية كورديل هال خلال الحرب والذي كان على مقربة شديدة منه، أن التجارة الدولية «هي أهم الملفات التي يجب العمل عليها والتي يجب تقديمها على باقي الملفات. المشكلة الجوهرية تكمن في زيادة الإنتاج ولا يقابلها طلب مكافئ. ففي عام ١٩٤٠، تم توظيف ٤٥ مليون أميركي. وبحلول عام ١٩٤٣، ونتيجة لزيادة الإنتاج الحربي، نمت القوى العاملة الأمريكية إلى ٦٠ مليون. وعلى الرغم من أن بعض هؤلاء العمال، مثل النساء يعودون إلى منازلهم أو التقاعد بعد نهاية الحرب، إلا أن الحرب سوف تستلزم استمرار توظيف الكثير منهن. ولتجنب المشاكل الاقتصادية والاجتماعية الخطيرة، وللمحافظة على هذا العدد الكبير من الموظفين، سيتطلب الأمر إنتاج سلع وخدمات أكثر بكثير مما يمكن أن يستهلكه الشعب الأمريكي. اعتقدت إدارة روزفلت أن الطريقة الوحيدة لتجنب أزمة اقتصادية خطيرة هي إنشاء سوق تصدير للفائض للسلع والخدمات الأمريكية. وكما كتب جيمس ف. بيرنز، في ١٩٤٥ : «يجب علينا تصدير السلع إذا أردنا تقديم فرص عمل لجميع عمالنا». أي بمعنى آخر، كانت الصادرات ذات أهمية مضاعفة للاقتصاد الأمريكي في نهاية الحرب مقارنة بما كانت عليه في البداية.

أدى إنشاء سوق تصدير للفائض الأمريكي، بدوره، إلى تقليل الحواجز التجارية في البلدان الأخرى، ومن هنا انخرطت الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى في مناقشات مستفيضة حول إنشاء منظمة تجارية دولية من شأنها تسهيل المفاوضات متعددة الأطراف من أجل تخفيض الحواجز التجارية. وبموجب تلك العملية، ستخفض البلدان المشاركة في المؤتمر الحواجز التجارية أمام بقية المشاركين، أي أنها عملية متعددة الأطراف في وقت واحد. إلا أن الحد ببساطة من الحواجز القانونية أمام التجارة لم يكن كافياً لإنشاء سوق تصدير للفائض الأمريكي. لن تتمكن بلدان أخرى من الشراء من الولايات المتحدة إلا إذا كان بإمكانها الوصول إلى الدولار الأمريكي حيث أن تخفيض الحواجز التجارية الأمريكية سوف يعالج هذه المشكلة إلى حد ما لأنه سيسمح للدول الأخرى ببيع سلعها إلى الولايات المتحدة ومن ثم كسب الدولارات اللازمة لشراء الصادرات الأمريكية. ومع ذلك، فإن القدرة الإنتاجية في البلدان الأخرى كانت صغيرة إلى الحد الذي يجعل هذه البلدان غير قادرة على بيع ما يكفي إلى الولايات المتحدة في المستقبل المنظور للحصول على جميع الدولارات اللازمة لشراء الفائض الأمريكي بأكمله. فعلى سبيل المثال، ففي عام ١٩٤٧، بلغ إجمالي صادرات الولايات المتحدة ١٩ حوالي مليار دولار، في حين كانت الواردات الأمريكية تعادل ٨ مليارات دولار فقط، مما أعطى الولايات المتحدة فائضًا تجاريًا بقيمة ١١ مليار دولار. أي أنه على الدول الأخرى لشراء هذا الفائض، فإنها ستحتاج إلى الحصول على ١١ مليار دولار من بعض المصادر الأخرى. أحد المصادر التي يمكن من خلالها الحصول على حق الوصول إلى الدولار الأمريكي هو عن طريق الاستثمار الخارجي في الولايات المتحدة. كان المستثمرون الأمريكيون يستثمرون في الخارج منذ العصور الاستعمارية، ولكن مع بداية الحرب العالمية الأولى، على وجه الخصوص، قد حفزت الولايات المتحدة على الاستثمار الخارجي، خاصة خارج أوروبا في المناطق التي كانت فيها الشركات الأوروبية مسيطرة عليها في السابق، وبحلول نهاية الحرب كانت الولايات المتحدة، لأول مرة، دولة من الدول الدائنة.

ومع ذلك، هناك مشكلتان مهمتان ترميان إلى تشجيع الاستثمار الأجنبي الخاص إلى الولايات المتحدة. أولاً، كما أقرت وزارة الخارجية الأمريكية علناً، لم يكن الاستثمار الدولي في الماضي يعمل على الدوام في مصلحة البلد المستورد لرأس المال.

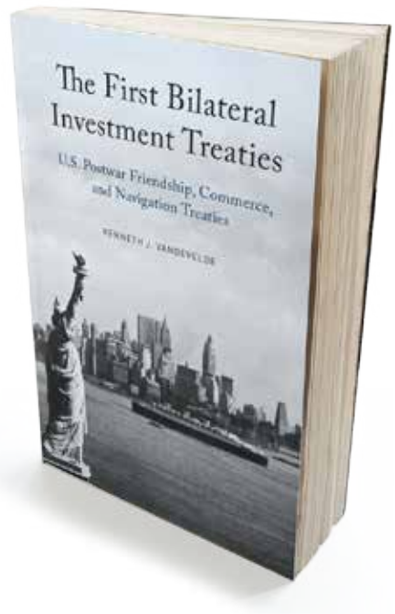

وقد كان من الضروري أن تقوم الحكومات بتنظيم تدفقات الاستثمار الدولي لضمان أن العملية التجارية تعمل لصالح كل من البلدان المصدرة والمستوردة لرأس المال. قبل وقت طويل من تفجير بيرل هاربور، كانت إدارة روزفلت تعمل في التخطيط للنظام الاقتصادي الدولي في فترة ما بعد الحرب .ونظرًا لأن الإدارة كانت تدرس هذا النظام الجديد، كان اهتمامها الرئيسي هو تجنب الأخطاء في السياسة والاقتصادية التي ساهمت في آفتين عظيمتين سيطرتا على ثلاثينيات وأربعينيات القرن العشرين: الآفة الاقتصادية للكساد العظيم والبلاء السياسي-العسكري للحرب العالمية الثانية. يأتي ويل كلايتون، و الذي وصفته مجلة نيوزويك بأنه «المهندس الاقتصادي الرئيسي لأمريكا بعد الحرب العالمية الثانية، ويشير إلى أنه لم يكن هناك سوى طريقين لتجنب هذه الأخطاء: أولا، إقامة وصيانة الأوضاع السلمية. وثانيا، رفع مستوى الدخل للولايات المتحدة والحلفاء في الخارج. ومن خلال ذالك تم إنشاء مؤتمر بريتون وودز في عام ١٩٤٤ والذي مهد ظهور البنك الدولي للإعمار والتنمية، ووضع اللبنة الأساسية لإعادة إعمار أوروبا وتنميتها اقتصاديا. كان هذا المصرف ضروريًا لأن المستثمرين من القطاع الخاص كانوا مترددين في الاستثمار في مشاريع الأشغال العامة، مثل السكك الحديدية والموانئ، والتي لن تولد عائداً لفترة طويلة من الزمن، ومع هذا البنك، فإنه سيسهل منح القروض اللازمة للبناء. كما تحدد التدابير التي ينبغي للحكومات الأخرى اتخاذها. وقد شمل ذلك تسهيل الاستثمار الخاص لأغراض ملائمة اقتصاديًا للمنطقة. ففي عام ١٩٤٨، عرفت وزارة الخارجية أنها تريد الحصول على حماية متزايدة للمعاهدات من أجل الاستثمار الأجنبي، أي إبرام معاهدات تضمن «معاملة عادلة ومنصفة وغير تمييزية» للاستثمار الأجنبي. وللمزيد من التحديد، دعت سياستها الاستثمارية الأجنبية إلى معاملة وطنية للاستثمار الأجنبي؛ التعويض الفوري والكافي عن الممتلكات المصادرة. وحظر الرقابة على الصرف، وعارضت المعاملة «التعسفية أو غير المعقولة» للاستثمار الأجنبي. غير أن الإدارة لم تقرر بعد أن تكون معاهدات ال FCN هي الأداة الأساسية للحصول على الحماية التي تسعى إليها سياستها الاستثمارية الأجنبية.

عندما تولى ترومان مقاليد السلطة، فإنه كان يؤمن أن الرخاء هو الذي سيمكن البلدان النامية من شراء الصادرات الأمريكية. حيث أن الاستثمار الحقيقي الذي كان صناع السياسة الأمريكيين يستشهدون به منذ أوائل الأربعينيات على الأقل. وفي الوقت نفسه، يعتقد ترومان، أن مثل هذا البرنامج سيظهر المنافع الملموسة لطريقة الحياة الأمريكية وبالتالي يحبط توسيع الشيوعية، خاصة في الدول النامية. فقد أضافت الحرب الباردة مبرراً آخر لتعزيز الاستثمار الأمريكي الخارجي. و الفكرة السائدة في بداية العقد، أن الاستثمار الأجنبي سيعزز الرخاء، والسلام الدوليين. أوضح ترومان أن سياسته الخارجية «ستشدد على عدة مسارات عمل رئيسية.» أول هذه النقاط هو دعم الأمم المتحدة، وكان الهدف الثاني هو مواصلة برنامج «الانتعاش الاقتصادي العالمي»، والثالث يتمثل في تعزيز المحبة للحرية من أخطار العدوان». ومن ثم في الفصول القادمة يتطرق الكاتب للسرد التاريخي للمعاهدات التجارية الثنائية بين الولايات المتحدة وبقية دول العالم بالتفصيل. وإجمالاً، يقدم الكتاب إضافة مهمة للمختصين في القانون التجاري، والعلاقات الدولية.

اسم الكتاب: The First Bilateral Investment Treaties
المؤلف: Kenneth J. Vandevelde
الناشر: Oxford University press
سنة النشر: ٢٠١٧
اللغة: الإنجليزية
عدد الصفحات: ٥٩٢

*** كاتب عُماني**

الإباضية في منطقة المحيط الهندي
(القسم الأول - شرق أفريقيا)

فاطمة بنت ناصر *

لقد دأبت وزارة الأوقاف والشؤون الدينية منذ سنين على رفد المكتبات العربية والأجنبية بإصدارات لدراسات فكرية مُتخصصة حول عمان وإرثها التاريخي الممتد إلى أصقاع شتى من العالم وتسليط الضوء على المذهب الإباضي الذي ظُلم تاريخياً بقلة مؤلفاته وضياع الكثير منها. وقد تمكنت الوزارة من إصدار ما يفوق العشرين مجلداً باللغة الإنجليزية وحدها، مستعينة بخبراء متخصصين من جنسيات مختلفة. وفي السلسلة القادمة من المقالات نضع بين أيديكم قراءة تلخيصية لعدد من تلك المجلدات.

يتناول كتاب «الإباضية في منطقة المحيط الهندي(القسم الأول- شرق أفريقيا)» والذي يعد المجلد الأول في سلسلة تفوق ١٣ مجلداً مجموعة من المحاور المهمة التي تزيح الستار عن تاريخ منطقة شرق إفريقيا المتمثلة في المنطقة الواقعة بين الصومال من جهة الشمال وموزمبيق من جهة الجنوب) حيث يستعرض الكتاب من خلال الآثار المادية المتبقية فيها تاريخاً هاماً عن تلك المنطقة. فالشواهد الأثرية متنوعة ومتفرقة على مساحات شاسعة من تلك الأرض وتعكس بشكل كبير الحياة الاجتماعية لسكان تلك المنطقة والأديان التي تأثروا بها وغيرها من التفاصيل المهمة التي ساعدت الباحثين في رسم ملامح لصورة تاريخية كادت أن تندثر لولا هذه الجهود البحثية. ومن أهم الآثار التي عثر عليها في هذه المناطق (محاريب المساجد وشواهد القبور والأوعية الخزفية وبقايا البيوت والأبواب وغيرها). كما أن بعض إسهامات المؤرخين والجغرافيين حفظت جزءاً هاماً من التاريخ المادي والشفاهي كذلك. وقد وصفت كتاباتهم حالة التجارة بين هذه المناطق الأفريقية والتقلبات السياسية الكثيرة التي ألمت بتلك المنطقة، كما أعطت وصفاً دقيقاً للبيوت وخاصة بيوت العرب الذين عاشوا في تلك المناطق وغيرها من الأمور مما ساهم بشكل كبير في فهم الحالة السياسية والاقتصادية والاجتماعية لتلك الحقبة. وعلى الرغم من مسمى الكتاب الذي قد يخيل لقارئه بأنه سيتعرف على ما يخص الأثر الإباضي في منطقة شرق أفريقيا إلا أن القارئ سيجد في هذا الكتاب معلومات هائلة لتاريخ تلك المنطقة التي عرفت العمانيين ومذهبهم الإباضي كما عرفت غيرهم من الأمم كالفرس الذين يشار إليهم في كتب التاريخ (بالشيرازي) وكذلك البرتغاليين. في دلالة هامة أن من وصلوا لأفريقيا في الماضي كانت الأمم ذات الأساطيل البحرية القوية والنظرة التجارية الثاقبة.

الآثار المادية (أمثلة: الفخاريات، المساجد، المحاريب):

إن الآثار المادية التي اكتشفت في منطقة شرق أفريقيا أسهمت في تأكيد الوجود العُماني فيها والذي ارتبط في أذهان عامة الناس من غير المتخصصين بدولة البوسعيدي والسلطان سعيد تحديداً، إلا أن الآثار المادية في منقطة (بات - pate) مثلاً في كينيا تعود لمرحلة أقدم بكثير وتحديداً لفترة حكم النبهانة لعُمان في القرن الثالث عشر، فكانت (بات) بمثابة العاصمة لهم كما كانت زنجبار لدولة البوسعيد، وسبب ذهاب النباهنة إلى هناك يعود للهزيمة التي تلقوها من اليعاربة. وقد تكون العلاقة أقدم من ذلك حيث أن لجوئهم إلى تلك المنطقة مباشرة لايكون من فراغ؛ فالمصادر التوثيقية تقول إن سليمان النبهاني حين وصل إلى (بات) تزوج ابنة حاكمها العربي، فمن المرجح أن يكون هذا الحاكم عُماني الأصل وقد يكون من آل الجلندى كما يرجح المؤرخ (ويلكينسون -Wilkinson)1.

ولعل من أهم ما عثر عليه في تلك المنطقة آثار المساجد، حسب المؤلف (جالاك - Garlack) وكتابه (العمارة الإسلامية الأولى في الساحل الشرقي الأفريقي) المنشور عام ١٩٦٦. وقد تمكن جالاك من تقديم وصف دقيق لهذه المساجد وطريقة بنائها وأهم ما يميزها، وهو جهد عظيم بسبب ندرة التوثيق لتواريخ إنشاء المساجد المتفرقة في تلك المنطقة، حيث ذكر الآتي:

١- معظم المساجد في معظم المناطق ذات مساحة

مربعة وتحتوي على صف أو أكثر من الأعمدة في منتصف قاعة المسجد.

٢- معظم ما وجد من مساجد يخلو من المنارات. كما تعتبر محاريب المساجد كنزاً أثرياً مهماً لما تحتويه من جمل حفرت عليها لتؤرخ معلومات مهمة عن تاريخ البناء وغيرها من المعلومات.

أما ما عُثر عليه من بقايا الأواني الخزفية فتشير المصادر إلى أن أغلبها من البورسلين الصيني المعروف باللونين الأزرق والأبيض، كما تم العثور في بعض المناطق ذات التواجد العُماني على فخاريات تطابق تلك المصنوعة في ولاية (بهلا) والتي كانت شائعة الاستخدام في ذلك الزمان.

التنافس على الساحل الشرقي الأفريقي:

كما يستعرض الكتاب القوى التي تنافست على الساحل الشرقي الأفريقي من عُمانيين وبرتغاليين وشيرازيين وهي الأمم ذات الأساطيل التجارية البحرية القوية في ذلك الحين، غير أن الكتاب يستعرض أيضاً التنافس بين العُمانيين أنفسهم ومقدرة بعض القبائل في السيطرة على مناطق بعينها، ومثال ذلك سيطرة قبيلة المزروعي على ممباسا في أثناء الوجود اليعربي في الساحل الشرقي الأفريقي.

ويذكر الكتاب أن المزروعي قبيلة عُمانية من الرستاق تحديداً وهاجرت إلى هناك بعد سيطرة الإمام سيف بن سلطان اليعربي على تلك المنطقة في عام ١٦٩٨. وقد تمكنت هذه القبيلة العُمانية من مد سيطرتها على أجزاء كبيرة بدءاً من رأس نجوميني في الشمال وإلى نهر بانجاني في الجنوب بالإضافة إلى سلطنة بوري و سلطنة فومبا، وقد حاولوا السيطرة على زنجبار في ١٧٥٤ في فترة سيطرة الإمام أحمد بن سعيد، وبالفعل تمكن علي بن عثمان المزروعي من السيطرة عليها ولكنه اغتيل بعد هذا النصر بفترة قصيرة على يد أحد من أبناء إخوته وتقهقرت قواته إلى ممباسا مبتعدةً عن زنجبار وحكم البوسعيدين فيها الذي بلغ ذروة مجده في العصر الذهبي لحكم الإمام سعيد بن سلطان.

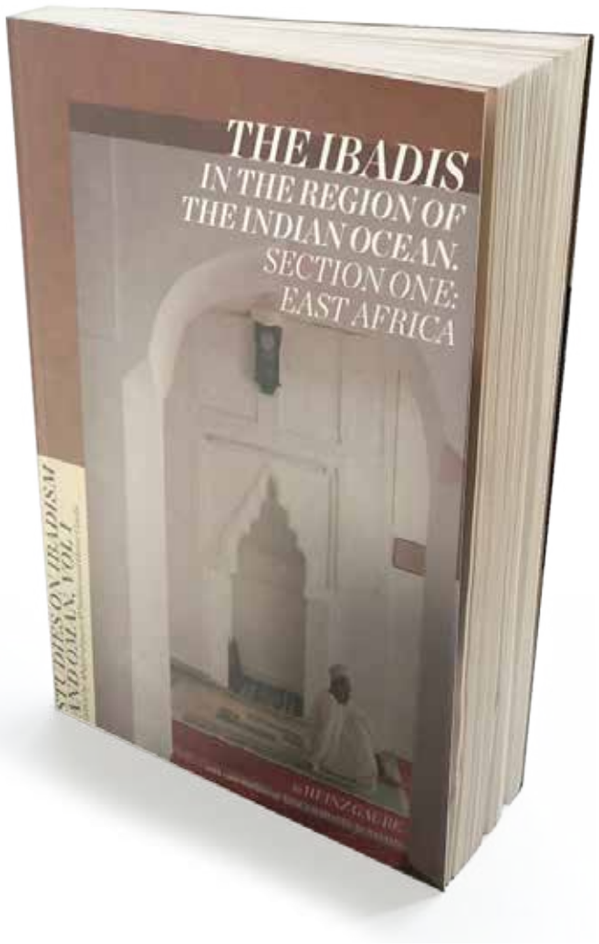

ومن المهم أن نلفت الأنظار إلى نقطة هامة أشار إليها هذا المجلد وهي المحاولات المستمرة (لأفرقة) هذه المنطقة وتغييب كل الشواهد الدالة على تمازج الحضارات فيها منذ القدم. نعم قد تكون هذه المنطقة أفريقية من الناحية الجغرافية ولكن من الناحية الحضارية والعرقية هي مزيج من أعراق متعددة وأهمها العرق العربي الذي تشير إليه الشواهد الأثرية المادية وتلك المكتوبة والتاريخية على طول فترة مكوثه بها، وقدم هذه الفترة التي تمتد إلى ما قبل الإسلام.

إن قصة الوجود العُماني في الشرق الإفريقي ضاربة في القدم وقد لا نعلم عنها سوى بعض الخطوط العريضة. ورغم كثرة المراجع التاريخية إلا إنها لا توفر ما يوفره البحث التاريخي القائم على فحص الآثار الناجية من ذلك الزمان والتي تدعم بلا شك ما وثقته كتب التاريخ وتزيد معرفتنا بأحوال ذلك الزمان وأثر العُمانيين في ذلك المكان.

اسم السلسلة: دراسات حول الإباضية وعُمان
اسم الكتاب: الإباضية في منطقة المحيط الهندي(القسم الأول- شرق أفريقيا) (المجلد ا)
المؤلف: مجموعة مؤلفين بتحرير هاينز غاوبه وعبدالرحمن السالمي
سنة النشر: ٢٠١٣
جهة النشر: وزارة الأوقاف والشؤون الدينية في سلطنة عمان
دار النشر: Georg Olmz Verlag

* كاتبة ومترجمة عُمانية

إصدارات عالمية جديدة

آخر الإصدارات في اللغة الفرنسية (سعيد بوكرامي):

الكتاب: صدى علم اجتماع العلاقة مع العالم
المؤلف: هارتموت روسا
الناشر: منشورات لاديكوفيرت
تاريخ النشر: ٢٠١٨
عدد الصفحات: ٨٠٠صفحة
اللغة: الفرنسية.

إذا كان التسارع هو المشكلة الرئيسية في عصرنا، فقد يكون الصدى هو الحل. هذه هي أطروحة العمل الحالي، الذي يضع أسس علم اجتماع "الحياة الجيدة" – وهو بذلك يكسر فكرة أن الموارد المادية والرمزية والنفسية هي الكافية للوصول إلى السعادة.

تعتمد جودة الحياة البشرية على نوعية علاقة الإنسان بالعالم، والقدر الذي يسمح بالصدى. إنه يعزز قدرتنا على التصرف، وبالتالي، قدرتنا على السماح لنا "بأخذ الشيء" ولمسه وتحويله من خلال العالم. هذا هو النقيض تمامًا لعلاقة آلية ومادية و "صماء" تجعلنا خاضعين للمجتمع الحديث. لأننا إذا بحثنا عنها، فإننا سنختبر علاقات غير منسجمة أكثر فأكثر، بسبب منطق النمو وتسارع الحداثة، الأمر الذي يبلبل بعمق علاقتنا بالعالم على المستوى الفردي والجماعي. انطلاقاً من التجربة الجسدية الأساسية (التنفس، الطعام، والأحاسيس ...) إلى العلاقات العاطفية والمفاهيم المعرفية الأكثر تفصيلاً، تأخذ العلاقة بالعالم أشكالاً مختلفة جداً: العلاقة مع الآخرين في فضاءات الصداقة أو العمل، أو السياسة. العلاقة مع فكرة أو مطلق في فضاءات الطبيعة والدين والفن والتاريخ. العلاقة مع المادة، والمصنوعات اليدوية، في مجالات العمل، التعليم أو الرياضة. وخلال تحليل دوافع الأزمة الاجتماعية الإيكولوجية والديمقراطية والنفسية المعاصرة، فإن هذه النظرية للصدى تجدد ببراعة إطار النظرية النقدية للمجتمع. هارتموت روزا عالم اجتماع وفيلسوف. أستاذ في جامعة فريدريش شيلر في يينا ومدير كوليج ماكس–وبيير– في إرفورت، ألمانيا. وهو مؤلف كتاب "التسارع" و ككتاب " نقد اجتماعي للزمن (٢٠١٠، ٢٠١٣) وكتاب "الاغتراب والتسارع: نحو نظرية نقدية للحداثة المتأخرة (٢٠١٢ و ٢٠١٤).

الكتاب: ملحمة المثقفين الفرنسيين.
المؤلف: فرانسوا دوسي
الناشر: دار غاليمار.فرنسا
تاريخ النشر: ٢٠١٨
عدد الصفحات: ٤٤٨ ص
اللغة: الفرنسية.

لم يكن أحد بمقدوره أن يدخل هذا التحدي الأكاديمي سوى الكاتب المرموق فرانسوا دوس لتأليف: بانوراما شاملة ومنهجية عن المغامرة التاريخية والإبداعية التي أنجزها المثقفون الفرنسيون، يبدأ المؤلف بمرحلة التحرر إلى سقوط جدار برلين على مستوى الأحداث السياسية. أما على المستوى الثقافي فقد بدأ المؤلف بتاريخ البنيوية، ثم انتقل إلى تدوين مسيرة ثورة الأفكار وذلك من خلال العديد من السير الذاتية لكل من (ميشيل دو سيرتو، وبول ريكور، بيير نورا، وكميليوس كاستورياديس) مانحا القارئ رؤية عميقة عن الحياة الفكرية في النصف الثاني من القرن العشرين. في المجلد الأول، ١٩٤٤–١٩٦٨، يغطي سنوات سارتر وبوفوار واحتجاجاتهما، والعلاقة المتناقضة مع الشيوعية، كما يتناول صدمة عام ١٩٥٦، والحرب في الجزائر، بداية من العالم الثالث، وظهور المرحلة الديغولية التحديات التي واجهتها: عصر عرف بهيمنة محن تاريخية وخيبة أمل سياسية وثقافية واجتماعية. أما المجلد الثاني، ١٩٦٨–١٩٨٩، فيبدؤه باليوتوبيا اليسارية، من سولجينتسين ومكافحة الاستبداد، إلى "الفلسفة الجديدة"، ونمو الوعي البيئي، إلى ارتباكات الثمانينيات: الفترة التي اتسمت بأزمة المستقبل وهيمنة العلوم الإنسانية. هذه ليست سوى خطوط قليلة من معالم الملحمة الفرنسية، والتي تضم فترة من أكثر فترات فرنسا فورة ثقافية وفكرية، من سارتر إلى ليفي شتراوس، إلى فوكو و لاكان. هذا الموضوع منحنا بالفعل بيبليوغرافيا ضخمة، تشكلت كجدارية باذخة من الأعلام والأفكار والنجاحات والإخفاقات لمثقفين معاصرين راهنوا على التغيير، لكنهم اصطدموا بإرادة الممانعة.

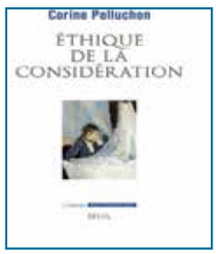

الكتاب: أخلاق التقدير
المؤلف: كورين بيليشون
الناشر: منشورات سوي فرنسا
تاريخ النشر: ٢٠١٨
عدد الصفحات: ٢٨٨ ص
اللغة: الفرنسية.

لماذا توجد فجوة بين الاعتراف بالأوضاع البيئية الحرجة وممارساتنا اليومية؟ يعلم الجميع أن النظام البيئي في خطر، لكننا لا نغير سلوكنا .لماذا نعاني الكثير من المتاعب لتغيير أنماط حياتنا علما أن لا أحد يستطيع أن ينكر أن نموذجنا التنموي يسير نحو الأفول بيئيًا واجتماعيًا، ولا أحد يشك في إساءتنا الكبيرة لمقدراتنا الطبيعية وهذا سينعكس سلبا على مستقبلنا؟

يطالب المؤلف برفع التحدي لسدّ الفجوة بين النظرية والممارسة من خلال تطوير أخلاقيات الاعتراف والتقدير. وبدلاً من التركيز على مبادئ أو عواقب أفعالنا، فإن هذه الأخيرة تهتم بدوافعنا الملموسة، أي بالتمثيلات والتأثيرات التي تدفعنا إلى العمل. ما هي الصفات الأخلاقية التي يمكن أن تقودنا إلى السعادة أثناء ممارسة الأعمال الفاضلة، بدلاً من أن نكون ممزقين باستمرار بين السعادة والواجب؟ تكمن جذور أخلاق التقدير في المناقب القديمة، لكنها ترفض جوهرها وتعتمد على التواضع والحساسية المفرطة. في حين أن برنارد دي كليرفو يضع التقدير على محك التجربة اللامحدودة التي تفترض الإيمان، بينما يعرفها كورين بيلوتشو عن طريق التبادل الإنساني. هذا الأخير يشير إلى حركة تعميق الذات مما يسمح لها بتجربة الرابط الذي يوحدها مع الكائنات الحية الأخرى وتحويل وعي انتمائها إلى العالم المشترك إلى معرفة والتزام حيين. إن التقدير هو الموقف الشامل الذي تندمج فيه الفضائل أثناء عملية التميّز التي يصف المؤلف مراحلها. في كتابه الأخير، يحاول الفيلسوف والناشط في قضايا البيئة سد الفجوة بدعوة الجميع إلى دمج "العالم المشترك" في رغباته حتى لا نضطر بعد الآن إلى معارضة ما نريد، وما هو جيد بالنسبة للبشر وعالم الحيوانات.

الكتاب: عودة الشعبوية حالة العالم في ٢٠١٩
المؤلف: بيرتراند بادي، دومينيك فيدال
الناشر: منشورات لاديكوفيرت فرنسا
تاريخ النشر: ٢٠١٨
عدد الصفحات: ٢٥٦ ص
اللغة: الفرنسية.

مصطلح "الشعبوية" حاضر في كل مكان في الخطابات السياسية كما في كتابات الصحفيين والباحثين. يبدو أنه من الصعب تحديد تعريف أوتفسير له، مما يؤدي في بعض الأحيان إلى مقاربات ملتبسة. وفي هذه الأوقات من الحمى الشعبوية، أصبح من الضروريّ والعاجل أن توضع هذه الظاهرة على طاولة التشريح الاجتماعي.

كيف نشأت الشعبوية؟ يساعدنا المؤرخون في فهم كيف ولماذا تظهر هذه الأخيرة في موجات متتالية منذ نهاية القرن التاسع عشر. تساعد هذه المقاربات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية على رسم ذاكرة لهذه الظاهرة. ما هي السمات المشتركة بين هذه التجارب المتنوعة، ومظاهر أسطورة الزعيم أو القائد؟ وماهي أساليب الدعاية الديماغوجية التي تمارسها الشعبوية ويبدو انها تتكرر صورتها؟ هل هناك سياسة أم سياسات شعبوية متماسكة في الشؤون الاقتصادية أو الاجتماعية أو الخارجية؟ وأخيرًا، يقدم الكتاب أمثلة معاصرة عن زعماء شعبويين، مثل ترامب وبوتين وشافيز وأردوغان وغيرهم، نظرة ثاقبة جدًا على التجارب الشعبوية الحالية. هل يمكن أن نتحدث عن "لحظة شعبوية" في فضائنا العالمي؟ يقدم المتخصصون من مختلف الحقول المعرفية تحليلاتهم عن حالة العالم في ٢٠١٩ مقترحين مقاربة مطلعة ومفيدة للشعبوية المعاصرة السائرة نحو تشكيل عالم مختلف.

إصدارات عالمية جديدة

آخر الإصدارات في اللغة العبرية
(أميرة سامي)

اسم الكتاب: الجدار والبوابة
المؤلف : ميخال سفارد
الناشر:دار نشر كتار
سنة النشر : يوليو٢٠١٨
اللغة : العبرية
عدد الصفحات: ٦٤٣ صفحة
نبذة مختصرة للغاية عن الكتاب:
لأكثر من ٥٠ عامًا، سيطرت إسرائيل على الشعب الفلسطيني في ظل نظام عسكري. أدى إلى احتلال عدد كبير من السكان وانتهاكات للقانون وحقوق الإنسان. يحكي المحامي ميخال سفارد قصة تلك الصراعات. ويكشف عن قصة رائعة، لم تنشر بعد، عن مكان ووظيفة المحكمة العليا في جهاز الاحتلال. كما يخبرنا عن الجدار المحصن الذي يواجه الفلسطينيين ومحاميهم، ويصف أيضا الفتحة الصغيرة لبوابة الأمل التي تفتح في بعض الأحيان لأولئك الذين يقاتلون من أجل العدالة والحرية وحقوق الإنسان ومجتمع أفضل.

اسم الكتاب: الشتيبيل وستارت أب
المؤلف : مردخاي روتنبرغ، باروخ كاهانا
الناشر :يديعوت سفاريم
سنة النشر: يوليو ٢٠١٨
اللغة : العبرية
عدد الصفحات: ٢٢١ صفحة
نبذة مختصرة للغاية عن الكتاب:
يتم تحديد الثورة الصناعية، وريادة الأعمال مع الروح البروتستانتية التي رفعت راية الاقتصاد الحر والعمالة والإنتاجية الصهيونية وتسوية الأرض، وإنشاء المصانع وإطلاق التكنولوجيا الفائقة في العقود الأخيرة التي نبعت أيضا من هذه الروح، ليس ذلك فقط ولكن أن تكون عودة الشعب اليهودي إلى أرضه كشعب مثمر، مع أخذ مكانه في طليعة التطورات الاقتصادية والعلمية، مرتبطة بالتقاليد اليهودية القديمة.
يتضمن الكتاب ستة محادثات حول الحسيدية وعلم النفس اليهودي وتحديات الساعة. يرسم روتنبرغ مع تلميذه الدكتور باروخ كاهانا نوعًا من السيرة الذاتية الفكرية التي تتبع مساره الشخصي، من الطفولة في ظل النازيين إلى تطور فلسفته المعاصرة، ويحاول في هذا الكتاب باستمرار إظهار أهمية قراءاته العميقة لليهودية المعاصرة.

****

آخر الإصدارات في اللغة الإنجليزية
(محمد الشيخ):

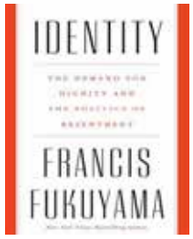

عنوان الكتاب: الهوية: مطلب الكرامة وسياسة التضاغن
المؤلف: فرانسيس فوكوياما
دار النشر: Farrar Straus and Giroux
سنة النشر: ٢٠١٨
موجز تعريفي بالكتاب:
هذا كتاب يفحص ما أمسى يعرف في "الأدبيات السياسية" ـ في العلوم السياسية كما في الفلسفة السياسية ـ باسم "سياسة الهوية"، من حيث أصولها وآثارها ودلالتها في الشؤون السياسية للدول، الداخلي من هذه الشؤون والخارجي. ذلك أن ملتمس "الاعتراف" صار أحد أهم مرتكزات مطلب الهوية في عالم السياسة اليوم. والحال أن الاعتراف الكوني الذي تقوم عليه الديمقراطية الليبرالية قد وجد نفسه في السنين الأخيرة أمام تحدي مطالب ألوان من الهوية ضيقة مستندة إما إلى الأمة أو إلى الدين أو إلى الطائفة أو إلى العرق أو إلى الإثنية أو إلى النوع؛ مما نشأ عنه نزوع شعبوي معاد للمهاجرين، وصحوة الإسلام السياسي، وعودة نزعة الإنسان الأبيض. ويفحص المؤلف مطلب الهوية هذا ويجد أن الإرضاءات الاقتصادية غير كافية لإرضائه، كما أنه لا يمكن إنكاره أو تجاوزه. وكل ما يمكن أن يُفعل هو ملاءمته مع الديمقراطية عوض أن يمسي مهددا لها.

عنوان الكتاب: بناء عالم متعدد (جيوسياسة المعرفة)
مؤلف الكتاب: تأليف جماعي
دار النشر: Duke University Press
سنة النشر: ٢٠١٨
موجز تعريفي بالكتاب:

هذا كتاب جماعي شارك فيه باحثون من أمم متعددة من بينهم باحثون عرب. ومداره على نقد تقليد الهيمنة الغربية ما بعد الاستعمارية وادعاؤها الكونية. ويقدم الكتاب جملة من المقاربات التعددية العالمية لتفسير تعايش أشكال من الرؤى المعرفية والممارسات الحياتية في مختلف مناطق العالم، كما يقف عند المشاكل التي تتم مصادفتها في هذه العوالم. والجامع بين هؤلاء الباحثين، الذين يناهز عددهم الخمسة عشر، هو نقد الكولونيالية، وإعادة التفكير في العلاقة بين المعرفة والسلطة، مقدمين منظورات جديدة عن التنمية والديمقراطية والإيديولوجيا، ومستعرضين في نفس الوقت مختلف منهجيات الفكر والممارسة غير الغربيين.

عنوان الكتاب: الشر الذي بداخلنا: لماذا نحتاج إلى الفلسفة الأخلاقية
المؤلفة: ديان جيسكه
دار النشر: Oxford University Press, USA
سنة النشر: ٢٠١٨
موجز عن الكتاب:
يفحص هذا الكتاب في كيف يسعى أولئك الذين يرتكبون أفعالا خاطئة، أو حتى شريرة، إلى تسويغ ـ تعليل ـ أفعالهم هذه إلى غيرهم كما إلى أنفسهم. وتتساءل الباحثة: كيف نقنع أنفسنا أخلاقيا بالأفعال السيئة التي قد نقوم بها؟ وهل نعي هذه الأفعال ونحن نقوم بها؟ وهل نشعر أننا نبرر لأنفسنا اقترافها؟ وتجيب الباحثة بأن دراسة فلسفة الأخلاق يمكن أن تساعدنا على التعرف على هذه الأخطاء، بل وحتى على إمكان تصحيحها. وتنتقي نماذج تطبق عليها هذا التحليل: مثلا حالة المشرفين على معسكرات التعذيب النازية، حالة ملاك العبيد الأمريكيين، حالة القتلة بالتسلسل ... وتظهر المؤلفة كيف يمكننا أن نصير مشاورين لأنفسنا حكماء بهذا التمرس على ملاحظة الذات والاستبصار فيها. كما تبين الفوارق بين تحليلات المجرمين لأفعالهم وتحليلاتنا نحن لأفعالنا.

قريباً في الأسواق..

مجلة التفاهم

رؤية الدين ومحددات العقيدة والأخلاق

افتتاحية العدد: حرية المعتقد ومحددات العقيدة والتعارف
عبد الرحمن السالمي

المحاور

- منظومة القيم القرآنية وتأثيرها في المجتمع والدولة الإعراض عن الإسلام في الأزمنة الحاضرة - رضوان السيد.
- التأويلية وقراءاة النص الديني - محمد بنعمر.
- الفرد الإنساني وثنائية الحرية والجبر بين الدين والفلسفة - جميل حمداوي.
- في فلسفة الاعتقاد - محمد الشيخ.
- سوسيولوجيا الدين أم سوسيولوجيا المعتقدات الدينية؟ في دراسة الظاهرة الدينية المعاصرة - محمد الإدريسي.
- الإيمان الصادق والعمل الصالح والعهد الأخلاقي العالمي - حفيظ هروس.
- مبدأ التحقّق ودفع الشبهات حقاً قانونياً وقيمة أخلاقية- أحمد أبو الوفا.
- نظام القِيَم وأثره في تاريخ الحضارات - مسعود ضاهر.
- هوية الإنسان الحديث والمعاصر - محمد المحيفيظ.

دراسات

- القَدَرِيَّةُ الأوائل: فِكْرُهم العقديُّ وتوجُّهُهُم السياسي - حسن الخطاف.
- موقف الأشاغرة من ابن رشد في الأسباب الأشعريَّة لأُفول الرُّشدية - عزيز أبو شرع.
- مشكلة السَّببيّة بين القديس توما الأكويني ومفكّري الإسلام - شفيعة بليلى.
- «إِنّى ءَانَستُ نَارًا»: كتاب الاقتباس من القرآن الكريم للثعالبي - بلال الأرفة لي وموريس بومرانتز.

وجهات نظر

- تجديد الدرس الكلامي المعاصر: الأدوات والموضوعات - محمد توفيق.
- الهوية الثقافية بين أزمة الإعلام وتحديات العولمة - محمود كيشانة.
- نظرية المعرفة والحاجة إلى المنهج التركي التكاملي - محمد علا.

آفاق

- العلم الإلهي بين التصوُّف والفلسفة عند ابن عربي - محمد بنيونس
- يورغن هابرماس والدين للخروج من الحداثة المتأزّمة - رمضان بن رمضان

مدن وثقافات

- التأثير العُماني في دول وسط أفريقيا - موسى البوسعيدي.

الإسلام والعالم

- ما وراء التصوّف : انتشار الطرق الصوفية - أرماندو سلفاتوري.

النصوص المنشورة تعبر عن وجهات نظر كتابها ولا تعكس بالضرورة رأي مجلة التفاهم أو الجهة التي تصدر عنها.

مجلة التفاهم هاتف : ٢٤٦٤٤٠٣١ - ٢٤٦٤٤٠٣٢ ٩٦٨+ ، فاكس : ٢٤٦٠٥٧٩٩ ٩٦٨+

البريد الإلكتروني : tasamoh@gmail.com - al.tafahoom@gmail.com - www.altafahom.net